


أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996

عدد 77 الأربعاء 5 كانون الثاني/يناير 2005

مسرحية / الجزء الأول

# امرؤ القيس في باريس



عبد الكريم برشيد

رسوم فوزي الدليمي









الشريك الثقافي




المؤسسة الراعية

# إتفاقية التعاون بين منظمة اليونسكو ومؤسسة محمد بن عيسى الجابر



وقّع في يوم الجمعة 19 سبتمبر 2003 في مقرّ اليونسكو بباريس المدير العام لليونسكو المستر كويشيرو ماتسورا وسعادة الشيخ محمد بن عيسى الجابر رئيس مجلس إدارة مجموعة إم بي أي العالمية MBI INTERNATIONAL ومؤسّس إم بي أي MBI FOUNDATION ومعهد لندن للشرق الأوسط LONDON MIDDLE EAST INSTITUTE، إتفاقية تعاون مشتركة بين اليونسكو و MBI FOUNDATION وذلك في مجالات التعليم والثقافة.

تركّز الإتفاقية أوّل إهتماماتها على تطوير وتحديث النظام التعليمي في الشرق الأوسط وما يمكن القيام به لترقية وتشجيع ثقافة السلام والديمقراطية، بجانب مشروع إدخال الحرف العربي في الإنترنت ومشروع «كتاب في جريدة»، وقد بدأ تنفيذه بالفعل.

## المؤلفات المقرّة 2004 / شباط – 2005 / كانون الثاني*

| التاريخ (أول أربعاء من كل شهر) | إسم الكتاب | الكاتب | الرسام |
|---|---|---|---|
| 11 شباط / فبراير 2004 | الضوء الأزرق | حسين البرغوثي، تقديم: غسان زقطان | حسن الحوراني |
| 3 أذار / مارس 2004 | مختارات شعرية، عبدالله البردوني | إعداد وتقديم: عبد العزيز المقالح | سبهان أدم |
| 7 نيسان / أبريل 2004 | ليلى المريضة في العراق | زكي مبارك، إعداد وتقديم: محمد مظلوم | سعد يكن |
| 5 أيّار / مايو 2004 | مختارات شعرية، عمر أبو ريشة | إعداد وتقديم: حسين راجي | فاتح المدرّس |
| 2 حزيران / يونيو 2004 | تجديد الفكر العربي، نصوص مختارة | زكي نجيب محمود، إعداد تقديم: محمد مظلوم | سلوى زيدان |
| 7 تموز / يوليو 2004 | الأمير الصغير، أنطوان سانت أكزوبري | ترجمة: يوسف غصوب | نديم الكوفي |
| 4 آب / أغسطس 2004 | الوتد | خيري شلبي، تقديم: محمد مظلوم | كريم سيفو |
| 1 أيلول / سبتمبر 2004 | مختارات شعرية، سنية صالح | إعداد وتقديم: ممدوح عدوان | نذير اسماعيل |
| 6 تشرين الأول / أكتوبر 2004 | ديوان النثر العربي، نصوص مختارة | إعداد وتقديم: أدونيس | أدونيس |
| 3 تشرين الثاني / نوفمبر 2004 | حارث المياه | هدى بركات، تقديم: فيصل دراج | تانباك |
| 1 كانون الأول / ديسمبر 2004 | مذكرات أميرة عربية | سلمى بن سعيد بن سلطان | ديما حجار |
| 5 كانون الثاني / يناير 2005 | امرؤ القيس في باريس | عبد الكريم برشيد | فوزي الدليمي |

# عبد الكريم برشيد
# رائد المسرح الاحتفالي في المغرب العربي



عبد الكريم برشيد كاتب مسرحي نذر حياته للمسرح إبداعاً ونقداً وتنظيراً، وهو الأب الروحي للاحتفاليّة في المسرح. ذلك أنه إلى جانب كونه مبدعاً متميزاً بنصوصه المسرحية ذات الطابع التجريبي قد قدّم التنظير على شكل بيانات تحمل اسم "بيانات المسرح الاحتفالي"؛ وقد جمع هذه البيانات في كتاب سماه "المسرح الاحتفالي"، ثم تلت ذلك كتب نقدية تحمل سمات التنظير أهمها: "الكائن والممكن في المسرح الاحتفالي" و"الاحتفالية: مواقف ومواقف مضادّة" و"الاحتفالية في أفق التسعينات" و"غابة الاشارات".

عشق عبد الكريم برشيد منذ طفولته المسرح، وانبهر بالأشكال التعبيريّة الشعبيّة التي كانت تمارس في مدينة "أبركان" حيث ولد عام ١٩٤٣. ولما إنتقل إلى مدينة "الخميسات" أبدع مسرحيات تجريبيّة، وإن كان هذا التجريب موصولاً بهاجس التأصيل لأنه راهن على تأسيس كتابة مسرحية مغايرة تراعي خصوصية المجتمع العربي وهويّته: بدءاً بمعالجة قضاياه الجوهرية وصولاً إلى الاشتغال على الجماليات التي يزخر بها التراث العربي الاسلامي مع الاستفادة من التجارب العالمية التي لا تحول دون ابراز تلك الخصوصيّة.

تعتبر مسرحيّة "امرؤ القيس في باريس" – التي يصدرها "كتاب في جريدة" نموذجاً جيداً للنص الاحتفالي، جمع فيه المؤلف بين شعرية اللغة ودرامية الحدث وعمق المعالجة لإشكاليّة الاغتراب الحضاري للأمة العربية. فإمرؤ القيس رمز الإنسان العربي المستلب وسط إغراءات الحضارة الغربية. كيف سيواجه هذا الاستلاب؟ وكيف سيسترجع ذاته ويحافظ على هويته واستمراره؟ ذلك ما يعالجه هذا النص*.

* مختارات من مقدمة كتبها الدكتور مصطفى الرمضاني.

**بطاقة تعريف**

• عبد الكريم برشيد: كاتب ومؤلف ومخرج مسرحي.

• ولد سنة ١٩٤٣ بمدينة أبركان شمال المغرب.

• عضو إتحاد كتاب المغرب.

• شغل مهمة مستشار لوزير الثقافة د. سعيد بلبشير سنة ١٩٨٣

• يشغل حالياً مهام مندوب إقليمي لوزارة الثقافة على إقليم (محافظة) الخميسات.

• رئيس تحرير مجلة «التأسيس - دفاتر مسرحية» والتي أصدرت من مدينة مكناس سنة ١٩٨٦.

• له أكثر من ثلاثين نصاً مسرحية، كتبت كلها باللغة العربية الفصحى..

• كتب العديد من النصوص المسرحية التي ترجم بعضها إلى الفرنسية وإلى الإنجليزية وإلى الإسبانية وإلى الكردية. ومن أهمها: عنترة في المرايا المكسرة / الحومات / السرجان والميزان / سلف لونجة / الزاوية / منديل الأمان / حكاية العربة / إبن الرومي في مدن الصفيح / الناس والحجارة / عطيل والخيل والبارود / عرس الأطلس / فاوست والأميرة الصلعاء / إمرؤ القيس في باريس.

• أسس سنة ١٩٧١ فرقة مسرحية في مدينة الخميسات، وأخرج لهذه الفرقة التي تحمل إسم النهضة عدداً من المسرحيات أهمها: حكاية جوقة التماثيل لسعد الله ونوس، و«الحسين يموت مرتين»، عن نص من نصوص التعازي الشعبية.

• كرمه مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في سبتمبر ١٩٩١

## فوزي الدليمي

ولد في بغداد عام ١٩٥٠، بدأ اهتمامه بالفن والشعر منذ دراسته المتوسطة حيث نشر بعض نصوصه الشعرية في الصحف المحلية العراقية؛ وشارك في بعض المعارض الجماعية. في أوائل السبعينيات كتب مجموعته الشعرية الأولى التي نُشرت فيما بعد عام ١٩٨٣ بعنوان «لي ولكم». صدرت له مختارات شعرية عن دار «لوجا دي لانسي – فلورنسا» بعنوان "دفاتر شرقية". انتقل عام ١٩٧٤ إلى إيطاليا (روما) حيث بدأ دراسته للفنون التشكيلية، ثم تخرَّج عام ١٩٨٠ من أكاديمية الفنون الجميلة - قسم الرسم في مدينة ميلانو التي ما زال مستقراً فيها حتى الآن. عرض أعماله الفنية في معارض شخصية وجماعية داخل إيطاليا وخارجها. عمل مستشاراً لبعض دور النشر الإيطالية ثم أستاذاً في «المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق». ومحاضراً في جامعة ميلانو. اهتمّ بالترجمة ونقل إلى اللغة الإيطالية أهم الشعراء العرب المعاصرين.

**الراعي**
محمد بن عيسى الجابر
MBI FOUNDATION

**المؤسس**
شوقي عبد الأمير

**المدير التنفيذي**
ندى دلاّل دوغان

**الإستشارات الفنية**
صالح بركات
غاليري أجيال، بيروت.

**المَقَّر**
بيروت، لبنان
* **يصدر بالتعاون**
**مع وزارة الثقافة**

**تصميم و إخراج**
Mind the gap, Beirut

**سكرتاريا وطباعة**
هناء عيد

**المطبعة**
پول ناسيميان،
پوميغرافور برج حمود بيروت

**الإستشارات القانونية**
"القوتلي ومشاركوه ـ محامون"

**الإستشارات المالية**
ميرنا نعمي

**المتابعة والتنسيق**
محمد قشمر





**كتاب في جريدة**
العدد الثاني عشر
التسلسل العام: عدد رقم 77
(5 كانون الثاني 2005)
ص.ب 1460 ـ بيروت، لبنان
تلفون/فاكس 630 248 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb

# امرؤ القيس في باريس

## عبد الكريم برشيد

### مدخل الاحتفال

#### امرؤ القيس معاصرنا

امرؤ القيس وباريس. تاريخياً ـ لم يكن ممكناً أن يلتقيا. ولكنهما ـ مسرحياً ـ قد التقيا. هل هذا اللقاء محض افتراض ـ كأداة ووسيلة. طريق للحقيقة؟

الجديد في هذا الاحتفال أنني رأيت وعبرت عن واقع جديد. واقع مغاير ومشابه ـ للآنيّ والماضي معاً ـ واقع ليس صحواً كله. وليس حلماً كله، ليس ماضياً كله، ليس ماضياً وليس حاضراً. إنه تركيب كيميائي للممكن والمحال، ومزج للحاضر والغائب، والظاهر والخفي، والقريب والبعيد.

امرؤ القيس له وجود في الاحتفال. ليس كما كان في الزمن الماضي. ولكن كما يمكن أن يوجد الآن. إن الانسان لا وجود له كهوية كاملة وثابتة ومنغلقة على ذاتها. الانسان هو العلاقة، يصنعه الآخرون أكثر مما يصنع نفسه. وامرؤ القيس ليس موجوداً إلا «في» أو «مع» أو «ضد». إنه قائم داخل شبكة دقيقة ومعقدة من العلاقات الجديدة. إنه نتيجة حتمية لمعطياته الذاتية ومعطيات العصر. وبهذا، فليس ممكناً أبداً أن نفهم امرأ القيس الجديد خارج معطيات الزمن الجديد، وخارج مناخه وطقسه، ومؤسساته المختلفة.

لا تبحثوا عن امرئ القيس في الكتب. لأن امرأ القيس ذلك قد مات وانتهى. أما هذا فهو حي وموجود بوجود الاحتفال المسرحي. ومتجدد بتجدده، ومستمر باستمراره.

لا تبحثوا عنه خارج العلاقة بين الشرق والغرب، بين الماضي والحاضر، بين الممكن والمستحيل. فامرؤ القيس الجديد لا يمكن أن يكون في الأخير سوى روح هذا الزمن الجديد: أي زمن الاغتراب وزمن الاغتيالات وانقلابات العسكر وهجرة الأدمغة واليدالعاملة بحثاً عن الخبز والكرامة. ومن هنا، فإن المسرحية ليست مأساة فرد فقد عرشه وراح يبحث عنه. وإنما هي مأساة أمة بكاملها. أمة تعيش الماضي في الحاضر، والتخلف في التقدم، والتفتح في الانغلاق. أمة تحيا التمزق بين أن تمنح ولاءها للمدينة أو للبداوة، بين أن تأخذ بحوار الكلمة أو بحوار الدم، بين أن تتمسك بماض مات أو تعانق الآن والآتي.

امرؤ القيس يعيش في باريس حائراً، معذباً، موزعاً ولاءه بين ذاته وغيره. إنه يعيش زمنين اثنين في زمن واحد، وواقعين في واقع واحد. إن مجيئه إلى باريس قد أكسبه المعاصرة، ولكنها معاصرة شكلية، وتلك هي المشكلة.

#### الشرق شرق، والغرب شرق أيضاً...

كنت دائماً معجباً بامرئ القيس. ليس كشاعر فقط، ولكن أيضاً كشخصية درامية، شخصية تشبه إلى حد كبير شخصية هملت، أمير الدنمارك: فكلاهما أمير، وكلاهما فقد أباه ومملكته، وكلاهما سعى إلى أن يسترد ملك أبيه، وأن ينتقم له. في هملت يمثل موت الأب ـ أو معرفته لهذا الأمر ـ نقطة التحول بين عهدين وشخصيتين. وكذلك امرؤ القيس، فهناك هذا الحد الفاصل بين اليوم والغد، بين الخمر والأمر، بين اللهو والجد، بين الضياع والتسكع، والفعل من أجل ما يعتقد أنه حق.

امرؤ القيس أمير وابن أمير. عاش الرخاء في كل أبعاده. لم يكن يسأل إلا عن اللحظة والآن. همه الأكبر كان أن يركب فرسه، وأن يلاحق الحسان، وأن يلهو مستمتعاً بشبابه وأموال أبيه ووقته الفارغ.

«أملك الشباب والجاه والمال والفراغ ثم يأتي ليسألني أن أكون عاقلاً. آه. ومن أين آتيك بالعقل يا امرأ القيس وأنت زير نساء مجنون؟ طاردت بنات الحي في كل مكان. عند النبع وفوق الجبل .. لا هم لي في مملكة والدي سوى ملاحقة الساقيات والراعيات».

هذا الأمير يجد نفسه فجأة وسط باريس ليدرس. ولكنه ـ في انفتاحه المفاجئ على هذا العالم الغريب العجيب ـ يصاب بصدمة الحضارة. فينسى ذاته وأرضه ومهمته التي جاء من أجلها. «آه لو كان بإمكانه الآن أن يراني. يرى امرأ القيس ابنه وقد أصبح مفتوحاً منهزماً. أنا ذات مشرّعة للرياح الأربع. ذاتٌ أنا من غير باب ولا بوّاب. لتدخل الرياح كيف شاءت، أهلا بها وسهلا».

هذا الصدام الحتمي في قلب امرئ القيس بين الماضي المتحجر والآن المتفتح يجعله يعيش التمزق والانشطار، وذلك بين مجتمع يجذب إلى الخلف وآخر يدفع إلى الأمام. بين القبض والبسط. بين المنع والإباحة. بين الحشمة والتهتك.

«باريس عرس دائم يا عامر، فلا شيء محرم أو ممنوع. كل شيء مباح، أما هناك فكل مرغوب محرم. العشق حرام. العيش حرام. الهمس حرام. الحرف حرام. التنفس حرام. كل شيء حرام. حرام حرام.. حرام.. شرع القبيلة من جهة وشرع أبي من جهة ثانية خنقا في الناس لذة الحياة وفرحة العيش».

وبالرغم من أنه هرب من ذاته وأرضه. فإن هذه الأرض ـ بكل حرها وعنفها ـ تلحق به إلى باريس. تلحق به ممثلة في شخص عامر الأعور، هذا الرجل الذي جاءه حاملاً نعي أبيه الملك ومرة أخرى يجد امرؤ القيس نفسه حائراً ممزقاً بين اختيارات صعبة: بين أن يتابع عيشه كما كان ـ متنقلاً بين الخمرة والمرأة ـ أو أن يستجيب لوصية الأب المقتول، وأن يمتشق سيفه ويسرج حصانه ليسترد ملكه الضائع. الاختيار الأول غير ممكن، والثاني صعب وشاق بل هو مستحيل.

هذا هو امرؤ القيس وتلك هي مأساته، وهي مأساة تنبع من الإحساس بوجود الفعل والعجز عنه، من توفر الارادة وغياب القدرة. ومن هنا، كان صراعه مع ذاته أكبر من صراعه مع غيره.

### موت ملك أو موت مملكة؟

يلقى امرؤ القيس أباه في الحلم فيخبره هذا الأخير بما يلي:
«أنا لم يقتلني أحد... ما قتلني غير شيخوختي»

فموت الأب جاء نتيجة حتمية لحكم عادل ومنطقي أملاه التاريخ. إنه موت شخص وموت مؤسسة في نفس الوقت. مؤسسة أنكرت الناس فأنكرها الناس. وعميت عن الزمن الحاضر فعمى عنها هذا الزمن. لقد حدثت الوفاة نتيجة مرض خطير يدعى الشيخوخة. وهو مرض قاتل يصيب الدول كما يصيب الأشخاص: «لقد شخت كما ترى وشاخت مملكتي». ومن هنا فلن يكن هناك مهرب من الموت إلا الموت. وإن أي فعل من أجل هذا الميت لا بد أن يكون مجرد عبث وإضاعة وقت. فالأطباء لا يمنحون العمر لأحد «وقصارى ما يملكون هو أن يوقعوا شهادة الوفاة. وقد فعلوا ذلك». هذا الموت جاء لأن الملك قد عاش على هامش التاريخ وعلى هامش الناس كذلك. وقد رأينا أن الانسان هو العلاقة. وخارج هذه العلاقة بالزمن والمكان والآخرين لا وجود لشيء سوى الموت «كان علي أن ألبس كما يلبس الناس، وأن أفكر مثلهم، وان أجاهد من أجل اكتساب شهادتين: شهادة المعاصرة، وشهادة الانتماء إلى الناس. ولكنني عشت حياتي وقد فرطت في الاثنتين معاً، عشت على هامش العصر، وعلى هامش الناس أيضاً، فكان أن تبرأ مني الاثنان معاً».

### الكشف عن الجرح وما وراء الجرح...

هذا الاحتفال المسرحي هو تشريح في جوهره. إنه كشف للواقع العربي وتعرية له. سواء في علاقته بذاته أو علاقته بغيره. إنه تشريح مؤلم حقاً لأنه ـ أولاً ـ يتم بأدوات حادة، ولأنه ـ ثانياً ـ لا يكشف فينا إلا عما يحزن ويؤلم. مثل هذا الفعل: هل يمكن أن نغمض العين أمامه وأن نقفز عليه؟ لو فعلنا ذلك لجرّدنا المسرح من جوهره الأساسيّ، أي من كونه أداة خطيرة للتفسير والتغيير. إن امتلاك قوانين الواقع التاريخي ـ بكل ثوابته ومتغيراته ـ لا بد أن يمر عبر تشريح هذا الواقع أولا. وهذا ما يهدف إليه هذا الاحتفال المسرحي. إنه لا يسعى إلى استعراض التاريخ كأحداث ووقائع، ولكنه يطمح للكشف عن روح هذا التاريخ وعن فلسفته.

لا أريد لهذا التشريح أن يقف عند حد معين. لا أريد أن يكتفي بالجرح وحكّ الجرح. فالتعرية قد تُشقي نفسياً، ولكنها أبداً لا يمكن أن تُجدي. لهذا كان لا بد من وضع كل الأحداث والمواقف والشخصيات داخل نظرة واحدة مترابطة ومتماسكة، نظرة ترد الظواهر التاريخية إلى مصادرها الحقيقية لتجعل هذا الآن ملتحماً بما كان وبما سوف يكون غداً. وبهذا يتحرر هذا الاحتفال من صفة التشريح ليصبح نبوءة، أي أن ينتقل من معاينة ما هو كائن وحادث إلى استشراف ما سوف يكون وما سوف يحدث...

### أين باريس في باريس؟

باريس في المسرحية هي هذه النقطة التي تنتهي إليها كل الخطوط. إنها فضاء مفتوح على العالم. يأتيه الناس من كل مكان. وبهذا كانت عاصمة الدنيا عموماً، وعاصمة العرب بالخصوص عاصمة الأغنياء والمشردين. عاصمة السياح واللاجئين، عاصمة الباحثين عن اللذة والباحثين عن الخبز والامان. عاصمة رجال الأعمال والذين يبحثون عن عمل. عاصمة الشهداء والقتلة، والمناضلين والمخبرين. باريس إذن مضمون وشكل أيضاً. إنها معنى أو مجموعة معانٍ. وهي في نفس الوقت حيلة تقنية، حيلة يمكن أن تختصر كل العالم داخل فضاء مكاني وزماني واحد. إنها تلعب نفس الدور الذي تلعبه الساحة أو المقهى في المسرح، مع فارق أساسي هو أن باريس أرحب وأشمل وأكثر عمقاً، لأنها عالم بكامله وليست مجرد مدينة تضم نماذج بشرية متعددة. داخل باريس نرى العالم العربي ـ ماضياً وحاضراً ـ نراه في شخصيات متعددة هي أيوب الفلاح المصري وميمون التاجر وكنزة الشحاذة والأفندي المصري والاعرابي والأزهري وعمال شمال أفريقيا والطلبة وعامر الأعور وامرؤ القيس. هذه الشخصيات التي تحمل ذواتها تاريخاً طويلاً من الكتب والقهر تحيلنا إلى الحقيقة التالية: وهي أنه خارج باريس هناك عوالم مختلفة، عوالم تقوم على تمجيد القمع والكبت والقهر والغربة والنفي واضطهاد الرأي الآخر واغتصاب الأرض والكرامة. يقول أيوب لامرئ القيس بعد أن أسمعه عزفاً على الناي: «حتى القصب يا باشا أعطاه الله حق الكلام. ويبقى الانسان في بلدي وحده محروماً من الفرح، محروماً من الكلام والعيش والكرامة».

الانسان العربي ـ من خلال باريس ـ يظهر بشكل أوضح وأنصع. لأنه ـ وقد تحلل من شرع القبيلة والشيخ ـ يمكنه أن يتعرى كلياً، يمكن أن يكشف عن نوازعه التي ظل قروناً متلاحقة يخفيها بأقنعة زائفة.

في باريس يلتقي امرؤ القيس وأيوب الفلاح و«مثل هذا اللقاء لا يمكن أن يتم إلا خارج البلد، أمّا هناك فكل واحد في مكانه ومركزه: القصر قصر والخيمة خيمة وتبقى قائمة بينهما بحور وجبال وأنهار ومسيرة أجيال وأجيال...».

إن الأشياء بأضدادها تظهر أحسن، وتتوضح أكثر، لهذا كانت باريس هي هذا المجتمع النقيض الذي يكشف ويُعرّي. تحضّرها يكشف هذه البداوة التي جاءت الشخصيات من جوف التاريخ وهي تحملها معها. كما ان انفتاحها يفضح انغلاقنا وتزمتنا. أما تحررها الفكري والسياسي والجنسي فيكشف عن مجتمعات قمعية مغلقة؛ مجتمعات تعمل من خلال مؤسساتها الرسمية والشعبية على كبت حاجات الانسان الأساسية.



## ما هكذا تصورت باريس...

باريس، هل هي مدينة واحدة أم مدن متعددة؟ حقيقة هي أم وهم؟ يقظة أم حلم؟ هل هي هذا التصور الذي تحمله ذاتنا عنها، أم أنها حقيقة في ذاتها؟

«.. أهي أرض الضياع والموت إذن؟».

ـ لم أقل هذا. إنها الحياة. ولكن الحياة على مشارف الموت».

أين باريس في باريس؟ أين يقف الحد بين الحقيقيّ والوهميّ؟ والحسن والقبح؟ والصدق والزيف؟ إن لفظ باريس مثل لفظ الشيطان والغول والجحيم: مجرد النطق به يعني شيئاً أو أشياء. وبهذا فإن الشخصيات في هذا الاحتفال تعرف باريس قبل أن تراها. ولكن، هل كما تصورتها وجدتها؟ امرؤ القيس كان مخدوعاً بها.وعامر الأعور كان مخدوعاً بها. وكل الشخصيات الأخرى كانت مخدوعة كذلك. فامرؤ القيس يقول عنها:

«ـ وطفت كل أرجاء باريس. رأيت الحدائق والكنائس والمتاحف وأرصفة المومسات. رأيت الأسواق والحانات وبيوت الدعارة. رأيت كل شيء يا عامر في هذا البلد إلا الجامعات والمعاهد. كذبوا عليك يا أبي. فما في باريس غير أسواق اللذة، وقد اغترفت من بضاعتها ـ والحمد لله ـ الشيء الكثير الكثير».

هذه المدينة/الكل تصبح في هذا الاحتفال مجموعة من المدن المتعددة. يصبح لكل شخصية باريسها التي يبحث عنها. إن حقيقة باريس أو حقائقها كامنة في ذوات الشخصيات وليس خارجها، فهي منفى للبعض، وملجأ للبعض الآخر. كما أنها الشغل والأمان والحرية بالنسبة للآخرين.

يقول بابلو ـ عازف الأرديون الاعمى في نفق الميترو:

«ـ باريس المتخمين مراقص ومتاحف وخمارات وأضواء وسياحة. ولكنها يا عامر منفى للفقراء والغرباء. منفى للعاملين واللاجئين والهاربين» إن باريس في هذا الاحتفال المسرحي تظهر وكأنها كائن أسطوري غريب. إنها تلك الساحرة الحسناء التي تستدرج عشاقها لتأكلهم، يأتيها امرؤ القيس بحثاً عن الحياة فيلقى فيها الموت. ويأتي عامر الأعور وهو ممتلئ فرحاً وانشراحاً «من يصدق؟! عامر الأعور في باريس؟ لقد أخطأت يا عكرمة يا ابن عمي عندما قلت سيكون من أعجب العجائب أن يصل عامر الأعور إلى بلاد العجائب. ولكنني ـ بعون الله ـ وصلت. نعم. ومن كان طموحاً مثلي لا بد أن يصل». إنه يعتبر وصوله باريس نصراً كبيراً. ولكنه ـ عندما تتكشف له الحقائق ـ يصيح في خيبة:

«ربي... ما هكذا تصورت باريس ولا هكذا حدثوني عنها».

## حديث في الإخراج المسرحي

لا أريد أن أعطي لإخراج هذا الاحتفال المسرحي وجهة معينة، وذلك لأن هذا الفعل ـ وهو اختيار لامكانية واحدة ـ هو في ذات الوقت مصادرة لكل الإمكانيات الأخرى المتعددة التي يتضمنها النص ويختزنها بين سطوره وحروفه. النص الأدبي منطلق منه نبدأ، ولكن ليس إليه ننتهي. إنه كينونة حاضرة تولدت عن فعل أو مجموعة أفعال تمت في الماضي. أما الاخراج فهو فعل مستقبلي. إنه ما سيكون وما سيقع. وإذا كان الماضي معروفاً ومعلوماً فإن المستقبل يبقى دائماً محملاً بالمثير والمدهش والمفاجئ واللامنتظر. ومن هنا، فإنني لا أريد للإخراج أن يكون بحثاً وتنقيباً عن المترادفات الحسية للنص اللغوي، وإنما أن يكون حواراً معه ومساءلة له. أي أن يكون فاعلاًومنفعلاً، مؤثراً ومتأثراً، يأخذ ويعطي ويفسِّر (بالكسر) ويفسَّر (بالفتح)، وبهذا يتحول النص من الحالة إلى الفعل، ويخرج الحركة من السكون، ويفجر المدهش فيما هو معروف.

النص الأدبي ليس فعلاً واحداً موحداً، وإنما هو منجم أفعال. إنه منجم للرؤى والصور والمعاني والخيالات. إنه كقبعة الحواة: يمكن أن تخرج منها كل شيء. المناديل والفراشات والأرانب ولكن بشرط أن تمتلك قدرة السحر وأسرار الكيمياء. أي أن تكون مدركاً لقوانين التغيير. تغيير الكلمات إلى حالات، وتغيير الارشادات إلى فضاء حسي ينبض بالحركة والحياة.

النص في ذاته ليس تظاهرة ـ إلا من حيث ما سيؤول إليه. كما أنه ليس حالات وأنفاساً ومواقف وحركة الا بواسطة الممثل. ومن هنا كان لا بد من التركيز على الفعل بالأساس. فالمهم هو أن يخلق المخرج تظاهرة عامة، وأن يوجد لقاء شعبياً. هذا اللقاء / الاحتفال الذي يحييه الجميع ـ من مبدعين ومساهمين ـ داخل مكان معين وزمن معين. هذا هو المدخل الأساسي في الإخراج الاحتفالي. فالمهم إقامة حفل آنيّ وليس رصد فعل مضى. وبهذا كان لا بد أن يختفي الماضي كسرد، وأن يحضر كذاكرة وكفكر وسلوك ومؤسسات مختلفة. فالأسبقية في المسرح الاحتفالي تبقى دائماً لما يأتي.

أولاً: (الآن) كواقع وقضايا وحدث حي

ثانياً: (هنا) كمكان للتجمع والاحتفال وكفضاء للحدث المسرحي أيضاً.

ثالثاً: (العلاقات) بين الممثل والجمهور، والجمهور بعضه ببعض وبين المسرحي والواقعي والفني والمعيش...

**عبد الكريم برشيد**



## ١ استهلال

**«في شارع كبير تحفه من الجانبين أعمدة كهربائية**
**الوقت: لم يبق من الليل إلا أقله**
**يظهر امرؤ القيس وهو في زي أمير عربي**
**يمشي في شبه رقص ـ عاري الرأس حافي القدمين يحمل حذاءه بيده.**
**يظهر أنه خرج لحينه من حانة أو مرقص، وأنه فضل أن يمشي في شوارع باريس في دروبها»**

**امرؤ القيس** أنا امرؤ القيس وأنت باريس. حرت كيف أسميك وأناديك محظيتي أو مولاتي؟ إني أفكر في أن أعود إليك يوماً. أعود في جيش كبير. وأدخل أرضك هذه، فاتحاً غازياً منتصراً...

**«يضحك في سخرية»**

مسكين أنت أيها الشيخ... آفة أبي يا مولاتي أنه قارئ مدمن للكتب الصفراء. حدثته عن أشياء وأشياء فصدقها... آه لو كان بامكانه الآن أن يراني، يرى امرأ القيس ابنه وقد أصبح مفتوحاً ومنهزماً. وأنا ذاتٌ مشرَّعة للرياح الأربع، ذاتٌ أنا من غير باب ولا نوافذ لتدخل الرياح كيف شاءت، أهلا بها وسهلا...

**«يدور في مكانه فاتحاً جُبَته الفضفاضة لأنسام الصباح»**

وأنا الآن في حالة وجد وسكر. أصير يا باريز أرحب منك وأوسع. إنني أكبُرُ ولا أشيخ. أكبُرُ من داخلي. وعوض أن أسكن باريس، فغداً هي التي تسكنني. سأبني لدورك دوراً في قلبي، سأكون ناراً ملتهبة وأنت بصدري جمرة. غدا أصبح عالماً كاملاً. أصير كوناً، تدور بداخله شموس جديدة، وأقمار زرقاء وخضراء ونجوم مشتعلة... عجباً! كيف أسع كل هذه الدنيا ـ وما أرحبها ـ ولا تسعني هذه الدنيا؟!

هذه باريس تتنفس أنفاسها الأولى. تخرج من حلم لتدخل آخر. ولكن... أين الحلم في باريس وأين اليقظة؟

أين؟ ما عرفته لحد الآن هو أن هذه الأرض لا تغفو ولا تنام. فهل تراها تنام واقفة؟ باريز. مولاتي ومحظيتي. خبريني عنك. هل أنت عرس أبدي؟ هل أنت مأتم وجنازة؟ هل أنت غربة ومنفى؟ مهما ادعيت بأنني أعرفك، فإنني في الواقع لا أعرفك. لا أعرفك. لا أعرفك.



**امرؤ القيس**

**«مقترباً من أحد العمال الذين يكنسون الشارع».**

خبرني أنت يا ابن عمي. ما هذا الشيء الغريب العجيب الذي بيدك؟

العامل ١: هذه.. مكنسة يا أمير..

امرؤ القيس: مكنسة؟! عجباً! هل تصدق يا ابن عمي إن قلت أول مرة أرى مكنسة؟ نعم. وشرف قدرك لأول مرة ولكن. لم تخبروني. ماذا تفعلون الآن ـ في هذا الوقت من الليل أو النهار ـ لست أدري..

العامل ٢: ماذا نفعل؟! إننا نشتغل يا أمير..

امرؤ القيس: تشتغلون؟!

العامل ٣: نعم. إننا نكنس هذه الشوارع ألا ترى؟

امرؤ القيس: وكيف أرى وقد امتلأ جوفي خمراً وجمراً؟ ألا تعلمون أيها الناس بأنكم تشبهونني كثيراً؟

العامل ١: نعم. ولكن ليس في كل شيء.

امرؤ القيس: انكم تتحدثون مثل حديثي..

العامل ٣: شيء لا يكفي لكي نشبهك..

امرؤ القيس: أما لونكم؟ فهو أسمر. تماماً مثل لوني. ألا تخبروني ـ يا أبناء العم ـ من أي أرض أنتم..

العامل ١: أنا من المغرب..

امرؤ القيس: آه. تقصد من مراكش يا ابن عمي؟

العامل ١: نعم..

امرؤ القيس: وأنت؟

العامل ٢: أنا من الجزائر..

العامل ٣: أما أنا فمن تونس وبالضبط من سوسة..

امرؤ القيس: تونس.. خبرني عنها ـ حفظها الله ـ أما زالت كعهدها خضراء؟

العامل ٣: لست أدري. لقد عاهدت نفسي ألا أخوض في السياسة.

**«في خوف».**

امرؤ القيس: وأنت ألا تخبرني عن مراكش الحمراء. لماذا كانت حمراء؟

العامل ١: الله أعلم يا سيدي..؟

امرؤ القيس: آه لقد عرفت..

العامل ١: ماذا عرفت؟! أنا لم أقل شيئاً..

**«في خوف».**

امرؤ القيس: إنها تحمل جرحاً دامياً..

العامل ١: شيء لم أقله أبداً..

امرؤ القيس: لا عاش من يجرح أرضي أيها الناس.. أنا امرؤ القيس..

العامل:

**«في صوت واحد».**

تشرفنا.

امرؤ القيس: أمير وحفيد أمير. أرضي هناك، تموت وتحيا. نار الشمس تقتلها، ونار البترول ـ تحييها. ألا فليبارك الله هذه النار التي تحيي وتميت. أما نار الخمرة في باريس. فهي نار، ونار مقدسة. تماماً ـ أخوتي ـ كنيران المجوس. إنها تحيي ولا تميت.. لماذا تشتغلون أيها الأغبياء؟ لماذا؟ وأموال أبي موجودة بوفرة؟ دع أنت هذه المكنسة واتبعني..

العامل ٢: ولكنها سبيلي إلى الرزق يا مولاي..

امرؤ القيس: ألق بها جانباً قلت لك وأنا أعطيك ما تريد. فأموال أبي ـ يا ابن عمي ـ مودعة في كل بنوك العالم. تعالوا معي. وشاركوني طعامي وخمرتي. فأخوّة الخمر ليس كمثلها شيء.. تعالوا..

العامل ١: لا يمكن يا أمير..

امرؤ القيس: تخافون على رزق تافه وحقير؟! تأكدوا ـ أيها الناس ـ بانكم لن تأخذوا جزاء من هذا العمل أفضل مما أعطيكم أنا.. خذوا..

**«وقد أخرج رزمة كبيرة من الأوراق البنكية».**

العامل ٢: ما هذا؟!

امرؤ القيس: نصيبكم مما أعطت أرض العرب. ألستم عرباً مثلي؟ تكلموا..

العامل ٣: بلى. نحن عرب..

امرؤ القيس: إذن لكم نصيب في خيرات هذه الارض. لأنها أرضكم أنتم كذلك. خذوا..

العامل ٢: لا.. لا نريد مالاً لم نتعب فيه..

امرؤ القيس: هاها.. وهل تعبت فيه أنا أو أبي؟ خذوا قلت لكم..

**«لا يمدون أيديهم إليه»**

ترفضون، الآن فقط فهمت..

العامل ١: ماذا فهمت يا أمير؟

امرؤ القيس: فهمت بأن الشقاء ليس هو الذي يختار ناسه، ولكن هم الذي يختارونه. أما أنا فقد اختارني الغنى ـ جازاه الله خيراً ـ وقد قلت له أهلا وسهلا ومرحبا. لم أفعل شيئاً، لم أقدم شيئاً. ولكنه مع ذلك أعطاني كل شيء هكذا. لوجه الله تعالى. هل هناك في ذلك حكمة أجهلها؟ الله أعلم.. اذا. ما دمتم ترفضون حقكم في الأرض وما أعطت فانني سأعيد هذه الأوراق من حيث أتت..

العامل ٢: ماذا ستفعل يا أمير؟

امرؤ القيس: انظروا إلي جيداً. وراقبوا ماذا سيفعل الأمير. هذه الأموال، البترول أبوها. والنار أمها. وليس هناك أجمل من أن تعود الأشياء إلى أصولها.

**«يأخذ عود ثقاب ويأخذ في حرق الأوراق البنكية»**

احترقي بالنار يا أموال الزيت والنار.
احترقي قلت لك..

العامل ١: هل تريد أن تعرف يا أمير؟

امرؤ القيس: ماذا أعرف؟

العامل ١: ما تمثله هذه الأوراق بالنسبة إلينا.

امرؤ القيس: كل ما أعرفه يا هؤلاء هو أنها مجرد أوراق، أوراق فقط..

العامل ٢: لا. ليست أوراقاً أبداً..

امرؤ القيس: .. من المؤكد أن تذهب هذه، ولكن لا بد أن يأتي غيرها. هذه هي حال الدنيا. أشياء تروح يأتي غيرها. هذه هي حال الدنيا. أشياء تروح وأخرى تجيء. شيء واحد ـ يا أبناء عمي ـ يذهب ولا يعود. وهو هذه اللحظات من أعمارنا. لذلك فإنني أنصحكم بألا تصرفوها في هذا الشيء التافه الذي يسمى... الكنس..

**«يجذب العامل الثالث من يده».**

العامل ٣: ولكن.. إلى أين؟

امرؤ القيس: أنصحك يا ابن عمي، عندما تكون معي ـ الا تسأل أبداً إلى أين؟ لأنني ـ مهما غيرت الطرق ـ فإن مقصدي أبداً لا يتغير. وهو. حيث الأفراح والأقداح والليالي الملاح؟ اتبعوني.

**«يسقط داخل عربة الكنس. يريد أن يتحرك فلا يستطيع».**

العامل ١: اسمع يا محمد. وأنت أيضاً يا علي. ستأخذانه إلى أقرب فندق وتعودان بسرعة.

امرؤ القيس: بل اذهب بي يا محمد إلى أقرب خمارة في البلد..

العامل ١: عودا بسرعة قبل أن يلاحظ أحد غيابكما..

العامل ٢: اطمئن. لن يلاحظ أحد شيئاً.

**«يدفع العربة به».**

امرؤ القيس

**«ينشد»**

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

العامل ٣: ومن تكون أم جندب هاته؟ هل هي زوجتك؟

امرؤ القيس: لا. إنها جدتي

**«يضحك ثم يتابع الانشاد»**

نقضي لُباناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ
فانكما أن تنظراني ساعةً
من الدهرِ تنفعُني لدى أمِّ جُنْدُبِ

ألا ليتَ عُمْرِي كيفَ حادِثُ وَصْلِها
وكيف تُراعى وصْلَةَ المُتَغَيِّبِ

**«يتنصَّت»**

انتظر يا محمد... انتظر قلت لك..

العامل ٢: ماذا تريد يا أمير؟

امرؤ القيس: أما سمعت يا ابن عمي ما سمعت أنا؟ هذه طائرة.. طائرة تحطّ بالمزيد من الأمراء أمثالي.. قدني يا محمد إلى حيث قلت لك.

**«يخرجون.. صوت طائرة تحط بأرض المطار»**

### ٣ ما أقسى أن تكون محسوباً على قوم خطأ؟

**«مجموعة من الأبواب التي تحمل أرقاماً مختلفة.**
**يخرج من إحدى هذه الأبواب عامر الأعور وهو في لباس عربي.**
**في حزامه سيف وبيده وصية ملفوفة. ينظر حواليه في ابتهاج واندهاش».**

عامر الأعور: آه يا عامر يا أنا. كنت لله فكان الله لك. من يصدق؟ عامر الأعور في باريس؟ لقد أخطأت يا عكرمة يا ابن عمي عندما قلت: سيكون من أعجب العجائب أن يصل عامر الأعور إلى بلاد العجائب. ولكنني - بعون الله - وصلت. نعم. ومن كان طموحاً مثلي لا بد أن يصل.

**«فجأة ينبعث - عبر مكبر الصوت - صوت نسوي فيه غُنة ورقة».**

الصوت النسوي: سيداتي سادتي - المسافرين القادمين على متن الخطوط الشرقية - أهلا بكم في باريس.

عامر الأعور: أهلا بك يا مدام. أنا والله عشقتك من صوتك فقط. وحق جدك المسيح عشقتك. صوتك سكر وعسل يا مدام..

الصوت النسوي: سيداتي وسادتي.. درجة الحرارة في باريس منخفضة..

عامر الأعور: أي نعم. ولكن يا صبية. درجة الحرارة في قلبي مرتفعة. والله مرتفعة جداً جداً..

الصوت النسوي: أيها المسافر الكريم..

عامر الأعور: الله يكرمك. نعم يا صبية؟

**«يسوي ملابسه».**

الصوت النسوي: معك جواز سفر. أليس كذلك؟

عامر الأعور: نعم. ولونه أخضر.. أخضر مثل عينيك يا بنت سيدنا المسيح، المصلوب ظلماً وعدوانا. قبح الله الظلمة والكافرين المجرمين..

الصوت النسوي: إذاً تقدم نحو الباب الرابع..

عامر الأعور: أتقدم يا مدام.. ولكن أين هو الباب الرابع؟ أين هو؟ دلوني عليه، دلوني وأجركم على الله تعالى.. يا أمة المسيح ترفقي بي. فهذا عامر الأعور قد جاءك من مؤخرة الأرض ترفقي بي. فهذا نظري ضعيف، وقلبي أضعف. أما سمعي فهو - والحمد لله - سليم، لذلك فإنني لا أعشق - حين أعشق - إلا بالسمع. والسمع فقط. أين هو هذا الباب الرابع؟ أريد أن أرى صاحبة الصوت. أريد أن أراها.. أين هي؟

**«يخرج ظلام ثم إضاءة.. يدخل من الباب الرابع حيث يجلس إلى طاولتين رجلان من رجال الشرطة».**

الشرطي ٢: هات الجواز أيها الأمير..

عامر الأعور: أنت؟!

الشرطي ٢: هل تعرفني؟!

عامر الأعور: لا.. بل هي التي أعرفها. أو قل أعرف صوتها فقط..
اقترب.

**«يكلمه في أذنه».**

لقد كلمتني يا خواجة..

الشرطي ٢: كلمتك؟! هي من يا أمير؟

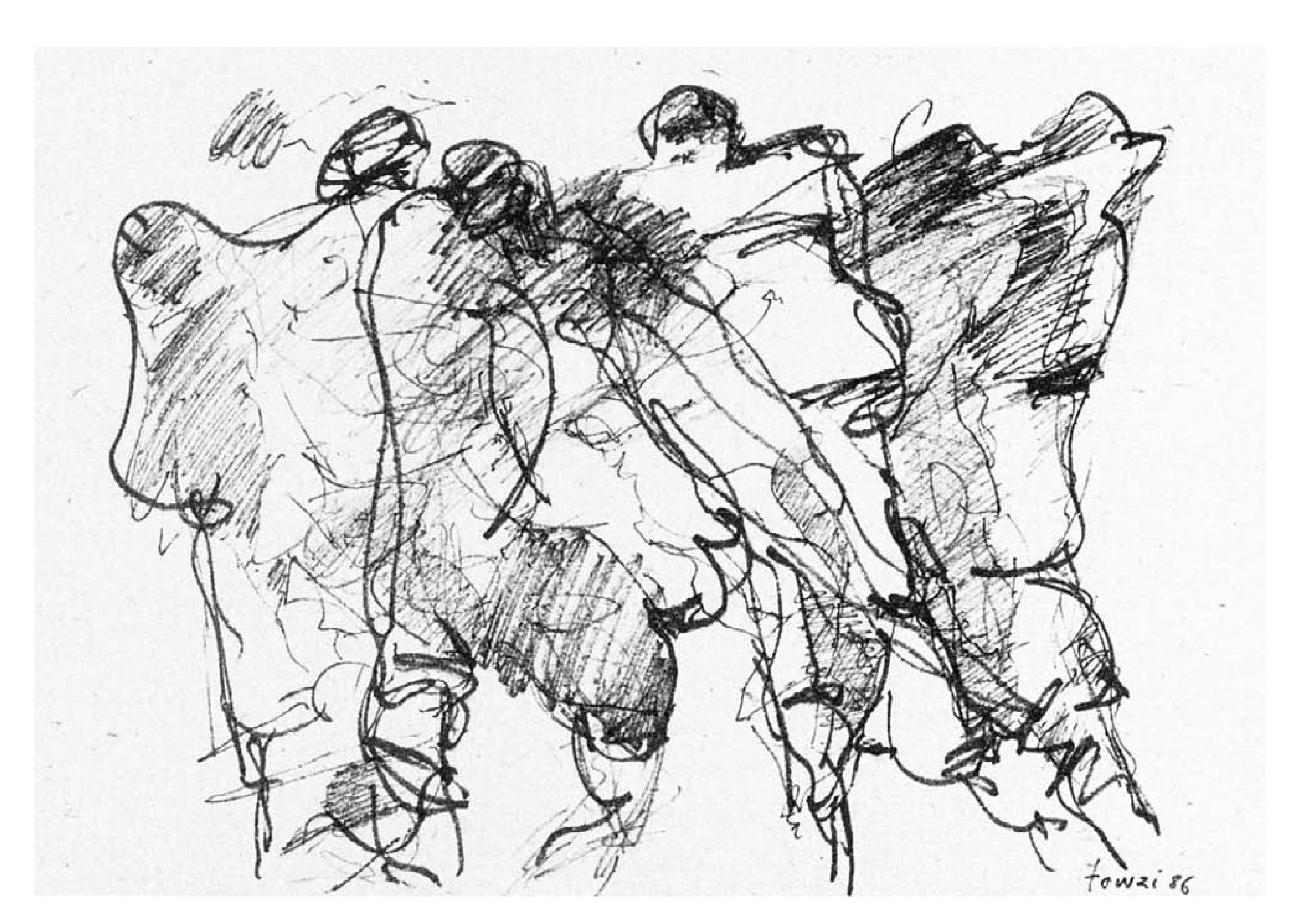
عامر الأعور: صاحبة الصوت الحلو.. هل تعرف يا «مسيو» بأن صوتها أحلى من لبن النعاج؟

الشرطي ٢: كل ما أعرفه هو أنك عربي..

عامر الأعور: عربي. أي نعم..

الشرطي ١: .. وانه - على ما يبدو - لا بد أن تكون غنياً جداً.
أليس كذلك يا أمير؟

عامر الأعور: أنا أمير؟! ها ها..



الشرطي ٢: أي نعم. ملابسك تقول هذا. بالاضافة إلى صمت الجواز عن مهنتك..

عامر الأعور: وماذا تقول ملابسي يا خواجة؟

الشرطي ١: تقول بأنك تملك البترول الكثير الكثير..

عامر الأعور: لقد كذبت ـ اللعنة عليها.. لا بد أن تعرف يا «مسيو» بأنه هو.. هو الذي يملك البترول الكثير..

الشرطي ٢: لقد قصد صاحبي أن يقول بأنكم هناك في الصحراء تملكون البترول الكثير..

عامر الأعور: أما أنا ـ يا خواجات يا محترفين ـ فأقول بأنهم هناك في الصحراء..

الشرطي ٢: نعم؟

عامر الأعور: يملكون البترول الكثير..

الشرطي ١: ماذا تخرّف؟! أنت عربي اليس كذلك؟

عامر الأعور: أنا عربي ـ أي نعم ـ ولكن من الدرجة التاسعة والتسعين بعد الألفين..

الشرطي ٢: هل يعني هذا، أن العرب فيهم أنواع ودرجات؟

عامر الأعور: نعم يا خواجة، تماماً مثل مشتقات البترول، فيهم النوع الغالي والنوع الرخيص. فيهم من ثقلت موازينه ـ وامرؤ القيس أحدهم ـ ومنهم أيضاً، من خفت موازينه ـ وأنا أحدهم ـ ولا فخر! آه يا خواجة! ما أقسى أن تكون محسوباً على قوم خطأ، تكون محسوباً عليهم ولا تكون منهم فعلاً.. ماذا يمكن أن أقول أكثر مما قلت؟ الكلام جميل حقاً. ولكن أجمل منه الصمت. ردّ لي جوازي يا خواجة، ودعني أذهب لحال سبيلي. فأنا ما جئت باريس إلا لأبحث عن شخص اسمه امرؤ القيس. وحتى أعثر عليه فلا بد أن أنفق في ذلك زمناً كبيراً ومجهوداً أكبر.. ليكن الله في عوني..

الشرطي ١: خـــذ جـــوازك يـــا.. أمير. يمكـــنك أن تنصرف..

عامر الأعور: شكراً لك..

الشرطي ١: تشكرني أنا؟!

عامر الأعور: بل أشكر هذا اللباس. أليس هو الذي جعلك تحترمني وتقدرني؟

**«هامساً لنفسه»**: لست أدري كيف كان مصيري لو لم آت في هذا الزي؟ لقد فعلت خيراً يا عامر عندما لبست هذا الثوب الذي أعطاك اياه أبو امرئ القيس..

**«للشرطيين»** سادتي الفضلاء الأجلاء.. وداعاً.

الشرطي ٢: بل إلى اللقاء يا أمير..

**«ظلام تام»**



## ٤. عامر يقصّ حكاية الكهرباء...



**«عامر الأعور واقفاً وحده وقد اختفى الشرطيان».**

الصوت النسوي: أيها المسافر الكريم..

عامر الأعور: نعم يا صبية. اسمي عامر ـ وهو اسم جميل كما ترين ـ أما اسم ابي فهو عمار ـ وهو رجل مشهور ـ أمي اسمها عمّوريّة وقد فتحها أبي قبل المعتصم ـ رحمه الله ـ ونحن جميعاً ـ أنا وأبي وأمي وجدي وجدتي وأعماي وأخوتي ـ من بني عامر..

الصوت النسوي: هل لديك أمتعة تصرّح بها؟

عامر الأعور: معي أمتعة..

الصوت النسوي: إذاً توجّه إلى الباب العاشر..

عامد الأعد: وسأجدك. أليس كذلك يا صبية؟ أين هو الباب العاشر؟ دلّوني عليه. أين هو؟ أريد أن أراها يا أمة عيسى... ليتك كنت معي يا عكرمة يا ابن عمي حتى تسمع بأذنيك، وتعلم أن ابن عمك قد كلمته جنّيّة روميّة شقراء. كلمتني وحدي من دون كل الناس.

**«يخرج ـ ظلام ثم إضاءة ـ يدخل من الباب العاشر حيث يقف رجلان من رجال الجمارك».**

الجمركي ١: قف. ماذا بيدك أيها الرجل؟

عامر الأعور: لا شيء يا خواجة. سوى هذه الوصية..

الجمركي ٢: وما هذا الشيء الذي في حزامك؟

عامر الأعور: آه هذا؟ إنه سيف يا خواجة..

الجمركي ١: سيف؟!

عامر الأعور: نعم. وهو أمانة في عنقي. حضرت إلى باريس لأسلمه لصاحبه. للأمير امرئ القيس. ألا تعرفه؟

الجمركي ١: لا أعرف أحداً بهذا الاسم..

الجمركي ٢: وماذا معك أيضاً، غير الوصية والسيف؟

عامر الأعور: معي هذا الحصان. ادخل يا غضبان. ادخل. فليس معنا غرباء

**«يجر حصاناً يتحرك على عجلات»**

الجمركيان:

**«في صوت واحد».**

حصان؟!

**«ينقلب اندهاشهما ضحكا».**

عامر الأعور: الوصية والسيف والحصان، هذا كل ما ترك أب لابنه. ما أنا غير رسول يا خواجة. جئت لأوصل الأمانة إلى أهلها ثم أعود من حيث أتيت. هل فهمتماني الآن؟

الجمركي ١:

**«يضحك».**

أنت رجل ظريف جداً. فمن أين أتيت يا أمير؟

عامر الأعور: من أين أتيت؟ من أرض أوسع من هذه وأرحب..



الجمركي ٢: وهذه الأرض؟ هل فيها مظاهر للحضارة؟

عامر الأعور: ماذا تقصد يا خواجة؟

الجمركي ١: يعني.. هل لديكم مصانع وطائرات وعربات وقاطرات؟

عامر الأعور: آه فهمت. إن كل ما يمكن أقوله لكما ـ يا خواجات يا محترمين ـ هو أن الدنيا أخذت تتغير لدينا في الأيام الأخيرة..

الجمركي ٢: لا. غير ممكن..

عامر الأعور: لقد عرفنا مؤخراً حادثين كبيرين عظيمين اهتزت لهما الأرض والسماء وما بينهما.

الجمركي ١: الأول. ما هو يا أمير؟

عامر الأعور: هو أن ارتداء النظارات لم يعد محرماً كما كان من قبل..

الجمركي ٢: الحمد للرب. والثاني. ما هو؟

عامر الأعور: هو أن الكهرباء ـ التي تضيء بالأسلاك ـ قد دخلت البلاد مؤخراً..

الجمركي ١: لا. أتقول حقاً يا أمير؟

عامر الأعور: وشرف جدك المسيح لا أقول إلا الحق. ودخول الكهرباء إلينا ـ يا خواجات يا محترمين ـ له قصة.. قصة غريبة وعجيبة.

«يضحك».

الجمركي ٢: آه. وماذا يكون الشرق لولا الحكايات والقصص؟

الجمركي ١: قُصَّها علينا يا أمير. لقد شوّقتنا لسماعها..

عامر الأعور: إذاً اسمعوا ـ يا خواجات يا محترمين ـ لقد أصيب أمير البلاد بالبواسير ـ حفظكم الله ووقاكم من كل مكروه آمين ـ فكان أن أشار عليه مستشاروه في الأمور الصحية بالسفر إلى بلدكم هذا. فكان أن جاء في حشد كبير من وزرائه وحاشيته وأتباعه وخدامه وجواريه..

الجمركي ١: وبعد. عالجه الأطباء. أليس كذلك؟

عامر الأعور: عالجوه. وكان ذلك بالكي الكهربائي في .. فهمتما؟

«يضحكان»

وبهذا جاءته فكرة إدخال الكهرباء إلى البلاد. فالناس لديكم يفكرون برؤوسهم. أما أميرنا فإن أفكاره تصعد من مؤخرته. وهكذا دخلت الكهرباء دبر سيدنا ومولانا قبل أن تدخل البلاد؛ والسلام عليكم ـ يا خواجات يا محترمين.

«ضحك وهو يجذب حصانه ويخرج ـ ظلام»

**٥ لقاء لم يكن ممكناً إلا خارج البلاد..**

**«من إحدى الأبواب ـ في فندق متواضع ـ يخرج امرؤ القيس.**
**وهو ما زال يغالب حالتي النوم والسكر. يتأمل المكان حوله في اندهاش».**

امرؤ القيس: إنني لم أعد أذكر شيئاً عن ليلة أمس. ليلة هي ما أطولها أو ما أقصرها. أين بدأت؟ وكيف انتهت؟ الله وحده يعلم.. لقد عجبت أن أكون قد استرحت في هذا الفندق مع أنه ـ وهذا ما يبدو ـ لا شيء فيه يوفّر الراحة. لا شيء، ولكن. لا يهمّ يا امرأ القيس إن هي إلا ساعة واحدة وقد قضيتها، وان هنا أحسن من أن تكون هناك، ملقى على الرصيف تفترسك العيون الزرق والخضر؟ لقد حفظك الله ورعاك إذ جئت إلى هنا أو.. جيء بك إلى هنا. لم أعد أذكر.

**«يصفق بيديه وهو ينادي»**

يا خدم الفندق إليَّ إليَّ.. استعفوني قبل أن يدركني الموت وأصبح نسياً منسيًّا..

**«يدخل أيوب. وهو في زيّ فلاح مصري».**

أيوب: ماذا بك يا باشا؟

امرؤ القيس: ماذا بي؟! ألا ترى يا ابن عمي بأنه أخذ يسبب لي الألم؟

أيوب: يسبب لك الألم؟! هو من يا باشا؟!

امرؤ القيس: الجوع يا ابن آدم.. الجوع الذي لا قاهر للانسان إلا هو. اسمع يا ولد. هل قلت لكم ليلة أمس ـ بأنني صائم؟

أيوب: لم تقل شيئاً..

امرؤ القيس: إذن لماذا لم تأتوني بطعام الإفطار إلى غرفتي؟ لماذا؟

أيوب: لماذا؟! لأن هذا الفندق ليس له مطعم يا باشا.

امرؤ القيس: آه ليس له مطعم؟ والحل يا ابن عمي؟

أيوب: الحل هو أن تشاركني فطوري. إنني أدعوك فهل تراك تقبل دعوتي؟

امرؤ القيس: يمكن أن أقبلها، ولكن في الأول لا بد أن نتعارف. أليس كذلك يا ابن عمي.

أيوب: لنتعارف إذاً. أنا أيوب. من أرياف مصر..

امرؤ القيس: أهلا بمصر وابن مصر. دعني أقبل جبينك يا ابن الكنانة..

أيوب: وأنت يا باشا؟

امرؤ القيس: أنا.. أنا امرؤ القيس. مجرد عربي بسيط كما ترى.

أيوب: لا أعتقد يا باشا.

امرؤ القيس: كيف لا تعتقد؟!

أيوب: مظاهر النعمة يا امرأ القيس تفضحك. أنت كبير وابن أكابر. يداك لم تلمس محراثاً. لم تدفع عربة.. لا تقل شيئاً أرجوك. ماذا يمكن أن تقول يا باشا والعز يفوح منك؟



امرؤ القيس: وأنت يا ابن عمي. ألا تحدثني عنك؟

أيوب: أنا نقيضك تماماً يا باشا.. رجل غلبان وابن فلاحين فقير حقاً. ولكنني مستور، أنني أحمد الله أن أحلامي ليست أطول من قامتي. لم أطلب شيئاً. ولم أحصل علـى شـيء. بل بالعكس، فقدت الشيء الكثير الكثير..

امرؤ القيس: ماذا فقدت يا ابن عمي؟

أيوب: لا تسلني الآن يا باشا. الصبر طيب..

امرؤ القيس: ألم نعد بعد أصدقاء؟

أيوب: ليس قبل أن تشاركني طعامي.

**«يجلس إلى الأرض ويخرج صرة يفتحها ليخرج منها رغيفاً»**

خذ، كل من هذا الرغيف يا باشا. إنه من قمح بلادي، قمح زرعه فلاحون، وحصده فلاحون. لماذا بقيت واقفاً هكذا؟ ألا تفترش الأرض مثلي؟ الظاهر أنك لم تتعود الجلوس إلى الأرض مثل الفلاحين البسطاء؟

**«يجلس امرؤ القيس بصعوبة».**

كُلْ يا باشا وفكر في أخوتنا، أخوة الخبز والملح، كُلْ..

**«يأكلان»**

امرؤ القيس: سأحدثك عن أشياء يا باشا ولكن..

امرؤ القيس: ولكن ماذا؟

أيوب: ليس قبل أن تقسم لي بسيدنا الحسين.. لا أرجوك لا تقل شيئاً. ستقول بأنك باشا وابن ناس أكابر، وانه لذلك لا يمكن أن تخون. كلام فارغ، وألف مرة فارغ. هل تعرف يا باشا لماذا هربت من أرض النيل؟ نـعـم هـربت. هـربت مـن وطن الباشـوات والـبـاكـوات والـبـاهـوات والخواجـات والعمدات والأفندية والمعلمين والمقاولين والسماسرة والأعيان. هربت يا باشا وما معي غير هذا الناي. هرّبته معي إلى بلاد العجم. إنه أخي ورفيقي.. هل تعلم بأن القصب مثلنا يتكلم العربية؟ نعم. واسمع يا باشا ان كان في نفسك شك. اسمع ليس بأذنك، ولكن بقلبك. اسمع حديثه، وهو حديثي وحديث كل مهاجر مغترب مثلي؟

**«يعزف على الناي»**

امرؤ القيس: حقاً يا ابن عمي. إنه يتكلم العربية..

أيوب: حـتـى الـقصب يـا بـاشـا أعطاه الله حق الكلام. ويبقى الانسان في بلدي وحده محروماً من الفرح، محروماً من الكلام والعيش والكرامة..

امرؤ القيس: غريب. من أين أتيت بكل هذا الشعر يا رجل؟

أيوب: من أين؟! من قلبي يا باشا..

امرؤ القيس: من قلبك؟!

أيوب: نـعـم، فـالـقـلب الـعـاشـق يطفح بالشعر والغناء..

امرؤ القيس: آه. ومن تكون هاته التي تعشقها يا حكيم؟

أيوب: إنها أرضي يا باشا؟!

امرؤ القيس: أرضك؟

أيوب: نعم، وهل غير الأرض يمكن أن يعشق الفلاح؟ عشت حياتي على شاطئ النيل، أنـام وأصـحـو عـلـى رؤيـة المراكب والملاحين. لا أعـرف الـقـراءة والـكـتـابـة مثلك. ولكنني تعلمت الحكمة مع ذلك، تعلمتها في الأشعار والمواويل وحكايات الناس في قريتي..

امرؤ القيس: وماذا تقول هذه الحكمة يا حكيم؟

أيوب: تقول.. بان الفلاح يكون ويبقى فلاحاً. أما الباشا.. فمن الممكن أن يصبح..

امرؤ القيس: يصبح ماذا.. تكلم..

أيوب: يصبح شحاذاً..

**«يضحك»**

لا.. يمكن أن تتأكد يا ابن عمي أن هذه الحكمة خاطئة.

أيوب: لا أعتقد..

امرؤ القيس: هـذه يـا ابـن عـمـي أول مرة ألتقي فيها بفلاح..

أيوب: وأنا مثلك تماماً. لأول مرة أكلم باشا.. مثل هذا اللقاء لا يمكن أن يتم إلا خارج البـلـد. أما هنـاك، فكل واحد في مكانه ومركزه، القصر قصر، والخيمة خيمة، وتبقى قائمة بينهما بحور وجبال وأنهار ومسيرة أجيال وأجيال..

**«صوت نسوي ينادي بالخارج».**

الصوت الخارجي: أيـوب.. أيـن أنت أيـهـا الـولـد؟ الـزُّبـنـاء يطلبونك وأنت غائب..

أيوب: إنني قادم يا مدام..

**«لامرئ القيس».**

أريد أن أقول لك كلمة ـ قبل أن نفترق

امرؤ القيس: قل ما شئت يا ابن عمي..

أيوب: الظاهر أنك ابن حلال وإن كنت .. باشا..

**«يخرجان ـ ظلام»**

## ٦ ربي... لماذا خلقتني بدوياً؟

**«أمام مجموعة من الواجهات الزجاجية المختلفة تقف مجموعة من المومسات..**

**يدخل عامر الأعور وهو يجر حصانه وراءه».**

عامر الأعور: واي واي واي واي واي واي.. أين أنت يا عكرمة ابن عمي؟ تالله ان هذا لهو الفوز الأكبر. الآن فقط أعرف يا عكرمة لماذا كنت أعور؟ نعم. فمن كان يعيش مثل عيشنا ليس أعور فقط. وإنما هو أعمى وأبكم وأصم و.. مسخوط الوالدين والله والملائكة والناس أجمعين!. الدنيا بخير في هذا البلد يا عكرمة. لقد أضعت عمري ـ قبحني الله ـ وأنا في الاصطبلات أشتغل سائساً للخيل، كل أيامي الخوالي قضيتها بين حيوانات أخرى. ألا فاشهدوا أيها الناس أنني وقد بلغت من العمر عتيّا ـ ما رأيت حيوانات مثل هاته: واسعة الأحداق، رخامية الساق، ضامرة البطن، ممتلئة الأرداف، منتخفة الصدر، غدائرها مسْتشزرات إلى الأعلى وإلى الأسفل.. ربي. هذا البلد ما أجمله!

**«يقترب من امرأة تقف عند عمود كهربائي وهي تدخن، تنفث على وجهه نفساً من الدخان فيسعل بشدة».**

واي واي واي واي.. ما هذا؟ امرأة تدخن؟! مثل هذا العجب ما رأيناه ولا سمعناه به يا عكرمة..

لوليتا: أية خدمة تريد يا أمير؟

عامر الأعور: أمير؟!

**«هامساً لنفسه».**

الظاهر أن حالتي في تحسن مستمر. الشكر لله ولك يا باريس. إنني أبحث يا مدام عن رجل مهم.

لوليتا: أهم منك؟!

عامر الأعور: لا لا وإنما..

لوليتا: إذا لماذا الاستعجال؟ أمامك كل الوقت لتبحث عن صاحبك هذا. تعال معي. أنت ضيف الليلة. ضيف المدام «لوليتا»

عامر الأعور: يا ويلي. وبهذه السرعة؟! إنها تدعوني إلى بيتها. فهل يصح أن أرد الدعوة؟ وكيف؟ وهي دعوة كريمة من امرأة كريمة؟

لوليتا: تعالى معي. أنت متعب من السفر بلا شك؟

عامر الأعور: متعب لدرجة الموت. وشرف جدك متعب يا مدام..

لوليتا: أنت في حاجة لأن تستريح قليلاً..

عامر الأعور: بل كثيراً يا «لوليتا». كأن الله عرفك بما هو كائن.

لوليتا: هل تعرف يا أمير بأن لدي سريراً كبيراً يسعنا نحن الاثنين؟

عامر الأعور: يا ويلي.. الدنيا بخير في كل أرض الله إلا أرضي..

لوليتا: لدي أيضاً حمام. ماؤه ساخن باستمرار..

عامر الأعور: وهل يسعنا نحن الاثنين يا مدام لوليتا؟

لوليتا: نعم. أنت وأنا ولا أحد غيرنا..

عامر الأعور: ربي!! لماذا خلقتني بدوياً؟ ماذا أجرمت في حقك وماذا أذنبت؟

لوليتا: تعال ولا تكثر من الكلام. تعال يا أمير..

عامر الأعور: والحصان يا مدام؟

لوليتا: ليدخل هو أيضاً. إنه ضيفي كذلك..

عامر الأعور: ألا ما أكرمك يا بنت الفرنسيس، يا سليلة الجود والكرم والشهامة والنباهة.

لوليتا: لم تقل لي يا أمير. أنت من بلاد القوقاز، أليس كذلك؟

عامر الأعور: القوقاز؟ لا يا مدام لا..

لوليتا: آه عرفت. أنت من بلاد زنجبار.. ولكن. لماذا أسألك؟ المهم أنك أمير. وأن هذا هو حصانك وذاك هو سيفك. هل تعرف يا أمير بأن الفرسان أمثالك ما رأيتهم إلا في السينما؟ تعال معي. فما يمكن أن نقوله ونحن واقفان نقوله بشكل أفضل ونحن ممدّدان على الفراش. أليس كذلك يا أمير؟ تعالَ..

عامر الأعور: آه. الآن فقط ـ يا عكرمة ابن عمي ـ أدركت لماذا عشت عمري تعساً مهموماً. إن حظي كان مختبئاً هنا في هذا البلد، في حين رحت أنا أبحث عنه هناك. كان علي أن آتي قبل الآن. ولكن لا يهم، فهذا يا عامر يومك الأبلج قد أقبل وفي ركابه اليمن والسعد والبشائر وكل أنواع اللذات والخيرات.. لتدخل على بركة الله. وأينما دخلنا يدخل الخير معنا. فأقدامنا ـ والحمد لله ـ أقدام خير ويمن وبركة.. باسم الله.

**«يجر الحصان ويدخل»**



٧ يسألونك عن أشياء عديدة...

**«عامر الأعور ضائع ـ هو وحصانه ـ بين أمواج بشرية متدفقة.**

**أمواج بعضها يروح وبعضها الآخر يأتي. ترتسم على وجهه علامات الخيبة».**

عامر الأعور: أما إذا كتب الله وأدبرت ـ ها ها ـ ساعتها يا غضبان يا ولدي يبول الكلب الأجرب على الأسد. دنيا وأية دنيا؟!

**«يدخل عامل تونسي وهو يحمل بيده رسالة».**

العامل: يعيشك خويا شوف لي هاد المكتوب آش فيه. قالوا لي جا من عند بابا.

عامر الأعور: بودي لو كنت أقرأ ولكنني ـ لسوء حظي ـ لا أعرف شيئاً غير..

العامل: يعني أنت مثلي حمار كبير بهيم؟

عامر الأعور: ابتعد عني..

العامل: آش بيك خويا تتغشش. هل قلت عيباً ـ لا سمح الله؟

عامر الأعور:

**«صارخاً بأعلى صوته».**

قلت ابتعد عني يا هذا. ألا تسمع. ابتعد عني!

**«يخرج العامل التونسي ليدخل الأزهري وهو يتأبط لبدته».**

الأزهري: هل تعرف أيها الرجل الكريم بأنني ـ من أول نظرة توسمت فيك الخير؟ لهذا جئتك مسترشداً مستهدياً، ورجائي ألا يخيب ظني فيك إن شاء الله..

عامر الأعور: اسأل يا مولانا..

الأزهري: أنت عربي يا ولدي. أليس كذلك؟

عامر الأعور: أنا عربي..

الأزهري: ومسلم كذلك يا ولدي؟

عامر الأعور: أجل مولانا..

الأزهري: أنا حائر يا ولدي فأدركني، فهذا البلد الذي أسماه الله باريس يعيش بلا قلب ولا كبد، سأموت في دروبه إن لن تدركني وتخرجني من ورطتي وعذابي، الحق أخاك قبل أن يموت في بلاد الكفر..

عامر الأعور: ماذا تريد يا مولانا؟

الأزهري: اطمئن. لا أريد منك مالاً لأنني رجل غني..

عامر الأعور: غني؟!

الأزهري: ..عن الناس وفقير إلى محبة الله تعالى. فقط يا ولدي أريد منك شيئاً واحداً وهو أن ترشدني إلى الخير والفلاح.. قل لي أين هي؟

**«وهو ينظر يمنة ويسرة».**

عامر الأعور: يا ويلي!! حتى هو يسأل عنها!

الأزهري: أريد أن أتوجه بهذا الوجه ـ المشع بنور رب العالمين ـ إليها..

عامر الأعور: هي.. هي من يا مولانا؟

الأزهري: القبلة يا ولدي.. القبلة..



عامر الأعور: ماذا؟

الأزهري: أي نعم. القبلة. فمن اليوم الذي جئت هذا البلد وأنا أسأل. سألت كل عابري السبيل ولا أحد منهم أعطاني رأس الخيط. هل كتب علي أن أبقى بلا صلاة؟ قل لي يا ولدي ألا تكون القبلة من هنا؟

عامر الأعور: محتمل جداً. كما أنه أيضاً يحتمل أن تكون من هنا أو من هناك..

الأزهري: ولم لا تكون من هنا ـ يا ولدي الذي توسمت فيه الخير؟

عامر الأعور: الله أعلم يا مولانا..

الأزهري: حتى أنت تقول الله أعلم؟! كل من سألته في هذا البلد قال الله أعلم. ألا تعرف على الأقل من أين تشرق الشمس؟

عامر الأعور: عجباً! وهل في هذا البلد شمس.. حتى تشرق أو تغرب؟ ما رأيت فيها غير الأضواء الاصطناعية..

الأزهري: إذن السلام عليك يا ولدي. بل الوداع الوداع. فلا أراني الله وجهك لا في الصحو ولا في المنام..

**«يخرج الأزهري ـ ظلام»**



**«امرؤ القيس في بيكال يتأمل الواجهات الزجاجية.**
**نقرأ فوق إحدى هذه الواجهات «سكسي ستوب» موسيقى رخيصة.**
**يقف امرؤ القيس أمام إحدى هذه الواجهات متأملاً تمثالاً جامداً لامرأة.**
**بعد لحظات من التحديق يغمزه التمثال ثم يبعث له بقبلة.**
**يفرك امرؤ القيس عينيه غير مصدق أن التمثال يتحرك..**
**يدخل شارلي وروبير ثم يتجهان إليه وكأنهما يعرفانه من قبل».**

شارلي: يا أمير الامراء. هل إذا عرضنا عليك هدايا.. ترى هل تقبلها؟

امرؤ القيس: هدايا؟! لي أنا؟!

روبير: لك أنت. ومن غيرك أحق بأن يُهدى يا.. أمير؟

امرؤ القيس: ولكن لماذا؟ ثم أيضاً. ما هي المناسبة؟

شارلي: آه دائماً لماذا، أجبه يا حبيبي روبير لماذا؟

روبير: إننا نهديك هكذا من غير لماذا. أنت يا أمير يا جميل أهل للاهداء، والاشياء الغالية لا تهدى إلا لمن كان عزيزاً وحبيباً وغالياً مثلك تماماً..

شارلي: مثله؟! من أين لنا أن نجد رجلاً مثله؟!

روبير: هل تعلم يا أمير يا جميل أن أروع ما يعجبنا فيك هو أنت.. أنت حقاً رجل!

امرؤ القيس: معلوم أنني رجل. مثل كل الرجال مثلك أنت ومثل.

شارلي: مثلي أنا؟ لا أنا لست رجلاً تماماً يا حبيبي..

امرؤ القيس: ماذا يقول هذا العجمي؟!

روبير: لقد قصد صديقي شارلي أن يقول بأننا ـ نحن الاثنين. هو وأنا ـ محسوبان عليكم خطأ..

امرؤ القيس: محسوبان علينا.. ولكن من نحن؟

روبير: معشر الرجال يا أمير..

شارلي: كما أننا أيضاً محسوبان عليهن. أي على ذوات الضفائر والأساور والقلائد. هذا رفيقي وشريكي اسمه روبير. أما اسمي فهو شارلي.

روبير: لا بد أن تعلم يا أمير بأن اسمينا غير ثابتين ولا جامدين ـ خصوصاً مع الأصدقاء والمقربين أمثالك فشارلي يصبح شارلوت..

شارلي: أما روبير فهو للأحباب روبيرتا. ولك الخيار يا أمير في أن تنادينا بما شئت من الأسماء..

امرؤ القيس: تبارك الله أحسن الخالقين. الظاهر أنني ـ إن لم أخطئ ـ في حضرة اثنين من فتيان باريس المخنثين. ولكن أولاً هل تعرفان من أكون؟

روبير: من تكون؟

**«يضحك»**

يسألنا يا شارلي إن كنا نعرف من يكون؟

شارلي: قل له يا رفيقي أن من كان في مثل حجمه لا يمكن أن يختفي على أحد، فالشمس في السماء لا تحتاج أن تقدم نفسها، وكذلك أنت يا مولاي..

امرؤ القيس: اسمي هو امرؤ القيس..

روبير: نعرف ذلك جيداً، تماماً كما نعرف أن ألارض تحتنا والسماء فوقنا..

امرؤ القيس: ان أبي الشيخ ملك على بني أسد..

شارلي: وابن الملك ـ يا مولاي ـ لا يكون إلا ملكاً كذلك..

امرؤ القيس: صدقت. فأنا المرشح وحدي ـ من دون كل أخوتي ـ للخلافة من بعده..

روبير: فراستي لا تخيب يا شارلي. ألم أقل لك بأن هذا الرجل ليس كباقي الرجال؟ ألا فلتعلم ـ يا أمير يا جميل ـ بأننا حين جئناك، جئناك مدفوعين بقوة غريبة، قوة تجذبنا إلى نور وجهك وإشراقة محياك..

امرؤ القيس: لقد سألتماني الإذن في إهدائي هدايا، فما هي هذه الهدايا؟

شارلي: ما هي؟! وهل نحن يا أمير في مستوى أن نخبرك ما هي؟

روبير: ان ما سنهديه لك يعجز النطق أن يصفه..

شارلي: كما أن الخيال ـ مهما حلق في الأجواء العليا والدنيا ـ لا يمكن أن يحيط به. هل تستطيع يا روبير أن تخبره بهديتنا؟

روبير: وكيف؟! لو فعلت ذلك لكنت مذنباً في حق الهدية والبلاغة وعلم البيان. أخبرنا يا امرأ القيس. هل سمعت قبل الآن برجل أهديت له الثريا التي في السماء؟ طبعاً لا. أما أنت، فستهدى لك الثريا أي نعم..

امرؤ القيس: لم أفهم قصدك..

روبير: آه ليس سهلاً أبداً أن تفهم أو نفهم. يجب أن تعلم أنك مهما سألت فانك لن تفهم شيئاً. وعليه، فما عليك سوى أن تلوذ بالصمت، وأن تكثر من الشكر للرب الذي رمانا إليك..

شارلي: اطمئن يا أمير يا جميل لأنك بين أيد ناعمة. تحنّ عليك وترعاك وتسعى لخيرك وفلاحك. ولن تأخذك إلا لما تحب نفسك وترضى وتطمئن..

امرؤ القيس: ولكن على الأقل أريد..

شارلي: لا تقل شيئاً. نحن أعلم بك من نفسك، وأقرب إليك من جوارحك. وظيفتك يا أمير أن تأمر، ووظيفتنا أن ننفذ. تعال معنا ولا تقل شيئاً..

**«يخرجان به ـ ظلام».**



## ٩ رباه، هذا البلد ما أعقده!

**«عامر الأعور وهو يجر حصانه، تقترب منه امرأة في ثياب صارخة الألوان».**

كنزة الشحاذة: أيها الفارس المقدام. أعطني مليوناً، مليونا فقط وأجرك على الله تعالى..

عامر الأعور: **«يضحك»** ومن أين؟! هل تعلمين يا امرأة أنني أنا ـ بذاتي وصفاتي ونعلي وقميصي وجبتي ـ لا يمكن أن أساوي مليونك هذا الذي تطلبين؟

كنزة الشحاذة: **«وهي تتأمله بإمعان»** حقاً أنت لا تساوي شيئاً، ولكن ما تحمله من متاع الدنيا هو الذي يمكن أن يساوي الكثير..

عامر الأعور: أنا لا أملك شيئاً يا امرأة، لا شيء غير جبتي التي تستر عورتي..

كنزة الشحاذة: والحصان يا هذا؟

عامر الأعور: إنه أمانة في عنقي، وسأوصلها لصاحبها..

كنزة الشحاذة: وهذا السيف؟

عامر الأعور: ليس سيفي. إنه أمانة أيضاً..

كنزة الشحاذة: إذاً لا تعطني مليوناً، واعطني أي شيء آخر. المهم ألا تردني بلا عطاء..

عامر الأعور: كل ما كان معي سُرق يا امرأة. لقد دخلت الفندق مُمتلئاً وخرجْتُ منه فارغاً نظيفاً، أنا والطبل سواء، كلانا لا يملك غير الريح والهواء..

كنزة الشحاذة: **«هامسة لنفسها»** حظك يا كنزة الشحاذة هو هذا، أن تأتي دائماً متأخرة. لماذا لم نلتق قبل أن تدخل الفندق؟

عامر الأعور: مقادير الله يا كنزة..

كنزة الشحاذة: أمراء آخر الزمن، إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، ولكن محافظهم فارغة.. لقد سرقْتَ وقتي أيها الرجل. وأنا امرأة وقتها لا يقدر بثمن. لو استثمرته في مواضيع غيرك لكان المردود محترماً.. أمراء آخر الزمن!

**«تخرج. يحاول عامر أن يتحرك فيجد نفسه وجهاً لوجه أمام رجل بدوي».**

البدوي: هل تعرف يا أخي؟

عامر الأعور: **«في انفعال».** أنا لا أعرف شيئاً. لا شيء. ثم لا بد أن تعرف أيضاً بأنني لست أخاً لأحد. هل فهمت؟ إذن ابتعد عن طريقي ودعني أسير..

البدوي: ألا تريد أولاً أن تسمع سؤالي؟ إنّه سؤال بسيط وصغير أيضاً، صغير جداً. إنه في حجم القنفذ أو الضّبّ أو أقل منهما قليلاً. سؤالي مثل حالي، رقيق ودقيق لا يملأ أرضاً ولا يسد سماء. وإنني ما قصدتك يا أخي إلا لأنني متيقن تماماً بأنك تملك الجواب وفصل الخطاب..

عامر الأعور: إذا تكلم. قل سؤالك، ودعني أنتشر في الأرض..

البدوي: ألا تعرف يا أخي.. **«ينظر حوله في حذر»** فندقاً محترماً ترتاده النساء الموسمات؟

عامر الأعور: يا ويلي!! هل قلت الـ؟..

البدوي: نعم، واسمح لي إن كنت لا أخجل ولا أستحي لأن الحياء من الايمان، ومن أين أتيك يا قلبي بالإيمان في باريس؟ إنني أبحث عن فندق أشترط فيه أموراً ثلاثة.

عامر الأعور: وما هذه الأمور يا أخي؟

البدوي: هي أن يكون مستوراً بستر الله تعالى، وان يكون صحياً. لأنني أخشى وخز الحقن. وأخيراً، أن يكون رخيصاً. لأن جيبي مثل حالي عفيف وخفيف. فأنا يا سيدي ـ ولا فخر ـ زير نساء ولكنني ـ والحمد لله ـ جبان. إنني أخاف والخوف سيد الأخلاق، وقديماً قالوا بأن الخوف من علامات الرجولة، أخاف على سمعتي وجيبي وصحتي. كن رجلاً شهماً يا أخي وأرشدني.. أرشدني إلى ما فيه صلاحي وفلاحي ولكن.. وهذا تنبيه رقيق وليس تحذيراً ـ إياك إياك أن تأتي ما أتاه غيرك من أعمال منكرة..

عامر الأعور: وما الذي أتاه هؤلاء الآخرون؟

البدوي: لقد أشار عليّ رجل توسّمت فيه الخير وقرأت في جبهته الصلاح والفلاح ـ أشار علي أن أدخل بناية كبيرة، فكان أن دخلتها ـ على بركة الله ـ بعد أن بسلمت وحوقلت وقرأت الفاتحة ثلاثة مرات، وحين توكلت على الله وسألت عن.. لم أجد أمامي غير الرجال المسلحين. لقد وجدت نفسي داخل مركز للشرطة. لقد كذب علي اللعين مع أنني قرأت في جبهته الصلاح والفلاح..

عامر الأعور: هذه المرة يا.. أخي لن تجد نفسك في مركز الشرطة..

البدوي: وأين سأجدها يا أخي. في الماخور أليس كذلك؟

عامر الأعور: بل في المستشفى أيها القذر! ابتعد عني والا كسرت رأسك. ابتعد عني قلت لك أنت لا يمكن أن يكون مكانك الا هناك..

البدوي: في الماخور؟

عامر الأعور: بل في مستشفى المجاذيب والمعتوهين والمرضى. اغرب عن وجهي..

**«يخرج البدوي من جانب ليدخل من الجانب الثاني افندي مصري وهو يدندن بأغنية عتيقة. يقترب من عامر الأعور».**

الأفندي: أنت يا ولد يا حبيبي. أخبار البلد فيها ايه؟

عامر الأعور: أخبار البلد لا أعرف عنها شيئاً. ولست أدري ـ يا حبيبي ـ ان كان فيها ايه أو اوه.

الأفندي: ظاهر عليك ـ يا واد يا حبيبي ـ ان دمك ثقيل..

عامر الأعور: هذا شيء أعرفه جيداً ولكن أنت.. هل تعرف ـ يا واد يا حبيبي ـ ان عقلك خفيف؟

الأفندي: أعوذ بالله. رجل أعور من عينه ومن كلامه كمان. السلام عليكم يا واد أنت ـ يا اللي مش حبيبي ـ

**«يخرج»**

عامر الأعور: ربي.. أين باريس في باريس؟ لحدّ الآن ما رأيت غير مظاهر أعرفها جيداً. ما رأيت غير وجوه بلادي متخمة بها..

**«يدخل الطالب الأول وهو يحمل حزمة من الجرائد»**

الطالب ١: **«يصيح بأعلى صوته»** اقرأ المناضل الأحمر. من أجل مجتمع مغاير ـ أطلب المناضل الأحمر.

**«يقترب منه عامر الأعور. يراقب صراخه في فضول وهو فاغر فاه».**

ماذا تريد أنت أيها الأمير؟

عامر الأعور: أنا؟! إنني..

الطالب ١: لا تتكلم. لقد فهمت قصدك وعرفت ما تريد.

عامر الأعور: ربي. أخيراً وجدت من يفهمني..

الطالب ١: تريد شراء كل هذه الأعداد التي معي. أليس كذلك؟ انطق ولا تخجل..

عامر الأعور: اشتريها؟ وماذا أفعل بها؟ إنني لا أحسن القراءة..

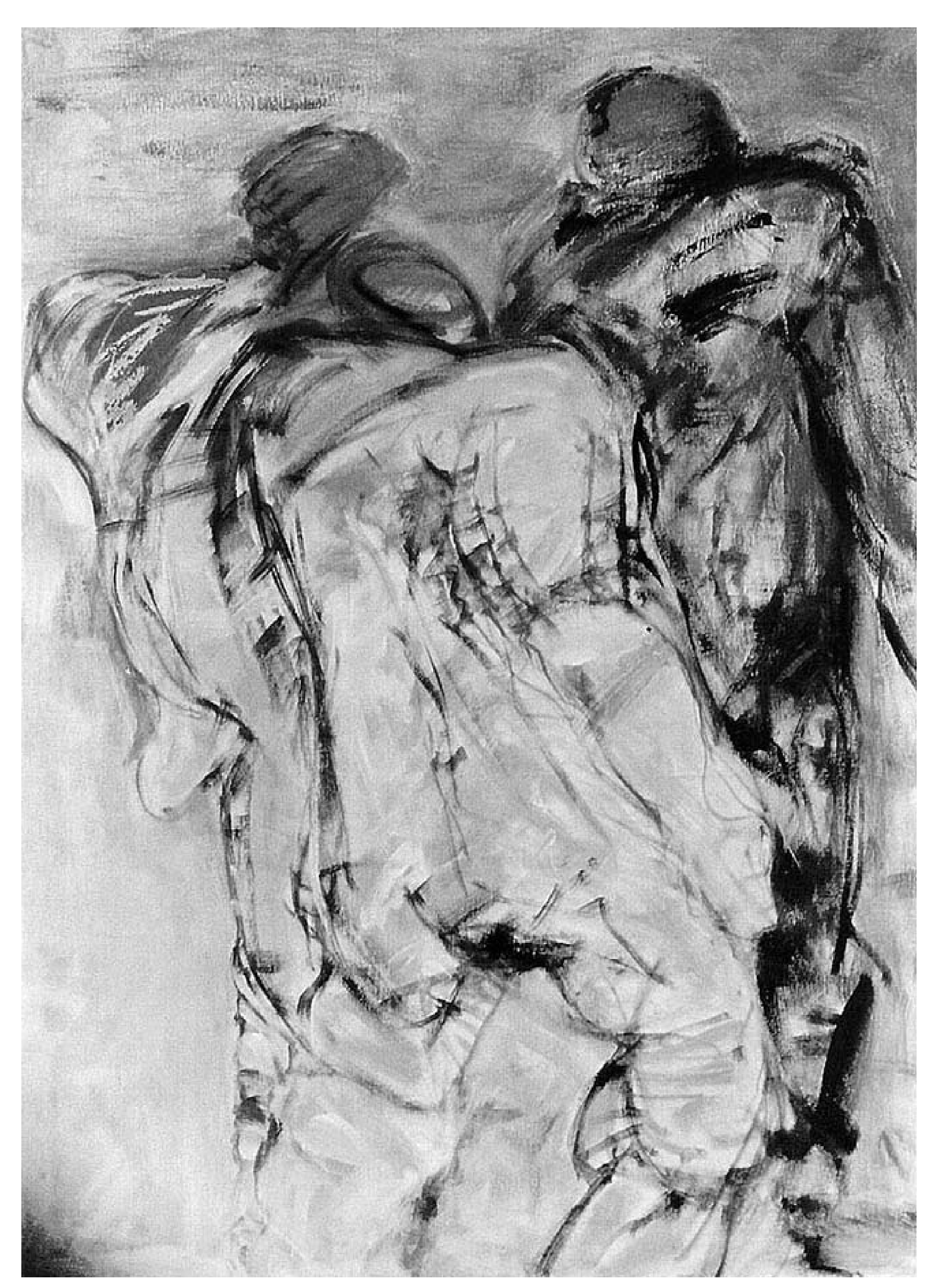
الطالب ١: ماذا تفعل بها؟ من يدري؟ فقد تكون فكرت في مصادرة هذا الصوت النظيف وذلك بشراء كل النسخ. ولكن هذا يا أمير غير ممكن. هل تسمع؟

عامر الأعور: إنني أسمع، وأسمع جيداً، فلم تصرخ؟ لحد الآن يا عكرمة ابن عمي لم أفهم بعد شيئاً.

الطالب ١: اسمع يا أمير. خذ هذه الحقيقة وضعها في ذهنك الأصفر فقد تفيدك يوماً. من يدري؟

عامر الأعور: وما هي هذه الحقيقة يا.. ولدي؟

الطالب ١: هي أن أموالك ـ مهما اتسعت وتراكم بعضها فوق بعض ـ فهي لا يمكن أن تشترينا أبداً. ان المبادئ لا تباع ولا تشترى. هل فهمت؟



عامر الأعور: إن الشيء الذي يفيدني أن أعرفه ـ وهذا مجرد تساؤل بريء ـ هو ما الفرق إن كان هناك فرق طبعاً ـ بين ذهني الأصفر وذهنك الأحمر؟

الطالب ١: سؤالك هذا يا أمير مهم جداً. وهو يحتاج إلى مجهود عضلي كبير. وسأنادي لك على من يجيبك..

عامر الأعور: يا ويلي. وما دخل العضلات؟ لقد ضاع مني رأس الخيط. وما عدت أفهم شيئاً.

الطالب ١:

**«ينادي»**

مروان.. تعالَ بسرعة.

**«يخرج مروان وهو يحمل سلسلة حديدية بيده»**

هذا الأمير يريد أن يفهم..

الطالب ٢: سيفهم ـ إن شاء الله ـ وسيدخل المستشفى أيضاً ـ إن شاء الله ـ وقد يحدث أن يفقد وعيه أو يموت ـ إن شاء الله ـ ولكن. قبل أن تدخل في غيبوبة، قد تطول أو قد تقصر، لا بد أن تعرف هذه الحقيقة العلمية. وهي أن الفكر الأحمر..

عامر الأعور: وما دخلي بالفكر الأحمر أو الأزرق؟

الطالب ٢: .. سينتصر لا محالة ـ أما اليوم أو غداً ـ سينتصر على الرجعية..

عامر الأعور: وما الرجعية؟!

الطالبة ٢: .. على الامبريالية أيضاً. وعلى البرجوازية والاقطاعية والبيروقراطية والثيوقراطية..

عامر الأعور: والملوخية..

الطالب ١: سينتصر على النازية والصهيونية والاليغارشية والكامبرادورية..

عامر الأعور: ربي!! هذا البلد ما أعقده.

**«يضعانه في الوسط وهما يلوحان له بالسلاسل الحديدية. يقتربان منه أكثر فيظلم المسرح. صراخ حاد يعقبه صوت صفارات البوليس».**



عامر الأعور:

**«وهو ملقى على الطريق»**

آه يا عامر يا ابن الأكارم. كتب عليك ما أنت فيه من هم وغم ونكد. ضُربتَ ضرب النوق الضالة. وكل هذا يا أمة الاسلام لماذا؟ ألأنني سألت سؤالاً في حجم حبة الخردل؟ ألا قبح الله الفضول. إنه أبو المصائب الكبيرة وأخوها وعمها وأصلها الذي منه انحدرت وتكونت. وبالرغم من كل هذا. فإنني لا أكتمكم شيئاً مهماً. وهو أنني لا أكره أن أعرف وأدرك ما الفرق ـ إن كان هناك فرق ـ بين الفكر الأصفر والأحمر؟ أريد أن أعرف يا عكرمة ابن عمي ولو كلفني ذلك المزيد من الضرب..

**«يتأمل لباسه الذي يرتديه».**

الظاهر أن كل مصائبي آتية من هذا الرداء. لقد أعطاني عنوان الإمارة ولا إمارة. من يأخذه مني مقابل قميص وسروال وبرنيطة؟ من؟

**«يقترب منه رجل أنيق ـ أكثر مما يلزم ـ هو ميمون التاجر»**

ميمون التاجر: هل يريد مولانا الأمير شيئاً؟

عامر الأعور: من أنت؟!

ميمون التاجر: أنا ميمون التاجر. سمعت عني بلا شك؟ لم تسمع عني؟! لا يهم. إنّني لا أملك بضاعة يا مولاي، ولكنني مستعد أن آتيك بما شئت من الأشياء. أطلب ما تريد وأنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك: طائرة؟ بدله ماريخوانا؟ حشيش؟ ثلاجة؟ محفظة؟ تلفزة؟ شورت؟ كيلوط؟ فواجهات باريس ما أغناها. ففيها ـ والحمد لله ـ كل شيء.

عامر الأعور: ولكنني يا سيدي..

ميمون التاجر: .. ميمون.. اسمي ميمون التاجر. يرضيني كثيراً أن أسمع من يناديني بالتاجر، كل أصدقائي في هذا الحي ـ حي باريس ـ ينادونني هكذا..

عامر الأعور: إنني لا أرى معك بضاعة يا.. ميمون التاجر..

ميمون التاجر: يا سيدي لا تهتم بهذا الأمر. فالمهم هو أن تختار. وكفى. أما الباقي فدعه لي. دعه لأخيك ميمون التاجر..

عامر الأعور: لم أفهم قصدك يا سيدي..



ميمون التاجر: لم تفهم؟! عجيب!

**«هامسا لنفسه».**

أيكون الرجل أبلد مما تصورته؟! اسمع يا أمير. خادمك ميمون هذا واسطة خير بين الناس وما يريدون. وأن ما يميزني عن التجار الآخرين هو أن أثماني لا يمكن أن ينافسني فيها أحد. فقد تنزل أحياناً إلى ما دون الصفر. وكل ذلك من غير أن تصاب تجارتي بالخسارة.. تأمل هذه الواجهات وقل لي. ماذا أعجبك فيها. يكفيك أن تدلني على شيء أو أشياء، لأتولى أنا ـ بمعونة الله ـ نقلها إليك.

عامر الأعور: تقصد سرقتها. أليس كذلك؟

ميمون التاجر: يا حبيبي لماذا تستخدم الكلمات الكبيرة؟ ألا تقدر شعوري على الأقل؟ أتظن أن هذا الوجه ـ وهو وجه هاش باش باستمرار ـ يمكن أن يكون وجه سارق؟ هيه. لم تقل لي ماذا تريد يا أمير.

عامر الأعور: أريد يا ميمون بدلة محترمة..

ميمون التاجر: بدلة؟ مثل هذه؟

**«مشيراً إلى الرداء الذي يرتديه عامر».**

عامر الأعور: لا.. بدلة افرنجية. مثل بدلتك..

ميمون التاجر: سأتيك بها حالاً.

**«يهم بالانصراف»**

عامر الأعور: انتظر.. ولكنني. يا ميمون التاجر لا أملك الآن مالاً. لهذا فإنني أعرض عليك أن تأخذ بدلتي هاته..

ميمون التاجر:

**«في تردد مصطنع».**

يمكن أن آخذها إذا أضفت لها شيئاً آخر غيرها..

عامر الأعور: ماذا يمكن أن أضيف يا ميمون؟

ميمون التاجر: هذه الساعة مثلاً. إنها ليست شيئاً مهماً ولكنني مع ذلك يمكن أن أقبلها ـ اكراماً لوجهك ومحبة في الأرض التي منها أتيت.. هات الساعة. وسآتيك ببدلة ما لبسها أحد قبلك. سأجعلك تصبح رجلاً آخر. قل إن شاء الله.

عامر الأعور: إن شاء الله.

**«وقد اختفى ميمون».**

أخيراً سأتخلص من هذه البدلة. فهي لم تجلب لي غير المصائب..

**«ظلام»**

امرؤ القيس:
«وحده داخل خمارة ـ ينشد»
إذا ما الثريا في السماء تعرّضَتْ
تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصَّلِ
فجئْتُ وقد نضَّتْ لنومٍ ثيابَها
لدى السِّتْرِ إلا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ
«يظل في حذر شديد ـ من وراء ستار».
«تظهر غينات وهي تغير ثوبها ـ تدفعه بيدها في تدلل»
غينات: ابتعد ستفترسني بعينك..
امرؤ القيس: أنا في شعري لم أقل هذا.
«وهي ما تزال وراء الستار».
غينات: وماذا قلت؟
امرؤ القيس: قلت أو بالأحرى هي التي قالت. وعندما أقول هي فإنني لا أقصد إلا أنت. وأنت وحدك.
فقالتْ يمين الله مالك حيلةٌ
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
«ينادي بأعلى صوته».
شارلي روبير أين أنتما؟
«يدخلان»
روبير: نحن هنا يا مولاي. أقرب إليك من أصابعك..
امرؤ القيس: هل أخرجتما كل من كان بالخمارة؟
شارلي: أخرجناهم يا أمير. إكراماً لعينيك فقط..
روبير: لم يبق في الخمارة إلا أنت ومن معك..
امرؤ القيس: جميل جداً. فأنا لا أريد أن يفسد علي ليلتي شاربو الخمرة الرخيصة. لهذا أغلقت هذه الخمارة. وسأدفع مدخولها لهذه الليلة ـ أو ربما أكثر ـ هل فهمتني يا حبيبي؟
شارلي: فهمناك جيداً يا أمير يا جميل ويا كريم..
امرؤ القيس: والآن اخبراني أين راحت عرائس الأنس؟ إنني لا أسمع لهن صوتاً ولا نفساً.
«يخرج شارلي وروبير وهما يصفقان».
روبير: أين أنتن يا بنات حاييم؟
شارلي: إلى العمل يا عرائس..
«تطل عليه من مكان ما في الخمارة امرأة عجوز ـ هي غينات ـ تناديه في دلال وتصاب».
غينات: كوكو.. إنني هنا..
امرؤ القيس: قطتي غينات؟ إنني أعرف أين أنت وسآتي إليك..
غينات: كذاب. أنت لا تعرف شيئاً..
امرؤ القيس: بل أعرف..
غينات: إذا إبحث عني ـ إن كنت تعرف كما تدعي..
امرؤ القيس: سأبحث عنك يا قطتي وسأجدك ـ إن شاء الله ـ ولو كنت داخل حبة رمل. هل سمعت؟

«تطل عليه عجوز أخرى ـ من مكان آخر ـ وذلك بنفس الغنج والدلال والتصابي».
راحيل: مميكا.. أنا هنا..
امرؤ القيس: مميكا هو.. امرؤ القيس، وامرؤ القيس هو أنا. وأنا هو الأمير المرشح مستقبلاً لإمارة بني أسد وبني عامر وبني ضبة وبني ثعلبة وبني عنزة وبني كلاب..
راحيل: مميكا.. ألا تبحث عني أنا كذلك؟
امرؤ القيس: سأبحث عنك أنت وعن أختيك غينات وسارة وعن كل قبيلتك..
راحيل: اسع يا مميكا. ابحث عني. وإذا وجدتني فإنني سأعطيك شيئاً مهماً..
امرؤ القيس: وما هذا الشيء ـ المهم ـ يا عنزتي وقطتي راحيل؟
راحيل: لن أخبرك به الآن إنه مفاجأة..
امرؤ القيس: إذن صفيه لي على الأقل..
راحيل: لن أفعل. لو وصفته لمت لحينك. إنني أعرفك جيداً..
امرؤ القيس: وهل تستكثرين علي الشهادة يا عنزتي وقطتي؟
«يرتمي تحت إحدى الطاولات للبحث عنها وإذا بصوت آخر ينبعث من خلفه».
سارة: كوكو.. أدر وجهك وانظر من هنا.
امرؤ القيس: من؟ سارة! صغرى بنات حاييم المحترم؟ ترفقي بي يا صبية. انتظريني حتى أصل إليك..
سارة: لن أنتظر. واركض خلفي إن كنت تحبني حقاً..
امرؤ القيس: الموت لمن لا يحبك يا سارة.. وأنت.. يا قطتي وعنزتي، هل تحبينني؟
سارة: أنا أحبك؟ وهل لي قلبان يا.. «مميكا» حتى أحبك
امرؤ القيس: قلبان؟!
سارة: هل يعقل أن أحب كلبي. «بوبي». وأحبك أنت كذلك؟ لا. هذه خيانة. وأنا امرأة وفية جداً. القلب الوحيد الذي أملك وهو هذا..
«مشيرة إلى صدرها»
قد وهبته لكلبي وحبيبي. لقد تعاهدنا على الوفاء والاخلاص حتى الموت..
امرؤ القيس: سارة ترفقي بي واسمعي قولي..
سارة: ماذا تريد أن تقول؟
امرؤ القيس: «أسارةَ مهلاً بعضَ هذا التدلل / وانْ كنت قد أزمعت صرمي فأجملي / أغَرَّكِ منّي أنّ حبَّك قاتلي / يا عنزتي وقطتي ـ وأنك مهما تأمري القلبَ يفعلِ»
سارة: إنك تهجوني. أليس كذلك؟
«وهي تبكي بافتعال».
اعترف يا خائن..
امرؤ القيس: معاذ الله..

سارة: ان كنت تظن بأنني لا أفهم قولك فأنت مخطئ.
امرؤ القيس: كيف أهجوك يا سارة كيف؟ وهذا لساني ـ قفله ومفتاحه ـ بين يديك..
سارة: وقلبك يا مميكا.. لم تخبرني عنه؟
امرؤ القيس: حتى هو أيضاً، قفله ومفتاحه بين يديك.
سارة: أحقاً؟
«وهي تكفكف دموعها».
امرؤ القيس: نعم.. خذي هذا المنديل، وامسحي هذه الجواهر التي تنزل من عينيك. إنها صافية يا عنزتي وقطتي كضمائر الملائكة..
«ينادي بأعلى صوته».
شارلي روبير اسعفاني بما لديكما من شراب. فهذا لساني قد تكلس من كثرة الحديث
«يدخل شارلي وروبير وهما يحملان شرابا»
أما انتن يا بنات حاييم فلي معكن حديث مهم جداً. حديث أوله حول المال، وآخره حول المال.
غينات:
«وقد خرجت من مكمنها».
نحن لا يهمنا المال. أليس كذلك يا أختي راحيل؟
راحيل: بلى يا أختي ولكنه..
غينات: .. ولكنه مع ذلك يهمنا أن نسمع هذا الحديث. أليس كذلك يا أختي راحيل؟
راحيل: بلى يا أختي..
غينات: .. لأنه من الممكن أن نتاجر في كل شيء إلا العشق والهوى. أليس كذلك يا أختي راحيل؟
راحيل: بلى يا أختي.
«تحيط به الأخوات الثلاث ـ يأخذن في تحريك المقعد الهزاز الذي يجلس عليه امرؤ القيس ـ ظلام».


fawzi 86

**١٢ عامر يدخل نفق المترو..**

**«عامر الأعور وهو هذه المرة داخل نفق المترو.**
**تمر من أمامه ومن خلفه أمواج بشرية لا تتوقف.**
**يريد أن يسأل ولكنه لا يجد أحداً يعيره انتباهه.**
**يقف أخيراً عند بابلو ـ عازف الاكرديون الأعمى ـ يستمع إلى عزفه باهتمام..».**

عامر الأعور: لست أدري ما الذي راقني فيك أيها الرجل؟

بابلو: ماذا. آه ربما كان عزفي أيها الرجل..

عامر الأعور: ربما.. أو كان لونك. لونك الأسمر مثلي. أو أشياء فيك خفية. من يدري؟ أن في صوتك أشياء أعرفها، ولكنني لا أقدر أن أسميها. فمن أنت؟

بابلو: أنا بابلو..

عامر الأعور: قلت بابلو؟!

بابلو: نعم. عازف أعمى ومُغنٍّ. جئت باريس ولا شيء معي. لا شيء غير خوفي ورأسي وأفكاري التي هرّبتها معي. أنا يا سيدي من أرض اسمها إشبيلية. فهل تعرفها؟

عامر الأعور: إشبيلية.. أما أنا فاسمي عامر.. عامر الأعور. وقد جئت باريس من مرابع بني عامر.

بابلو:

**«يضحك بارتياح».**

آه نحن أبناء العم إذا يا.. عامر؟؟

عامر الأعور: هذا ما يظهر..

**«يتصافحان»**

بابلو: يا لها من صدفة أكبر من عجيبة! هل تعرف يا عامر بأنه ليس سهلاً أن يلتقي الناس في زحام باريس؟

عامر الأعور: نعم وكل هذا وأنا لا أعرف شيئاً مما تقول..

بابلو: وأنا مثلك تماماً، لا أعرف شيئاً مما تقول ولكنني مع ذلك أفهمك جيداً، لقد تيقنت الآن يا عامر أنه ليس مهماً أن يفهم الانسان. ولكن أن يحس. كما تيقنت أيضاً أنه ان تكن في وجه الانسان عينان، فإن في صدره وقلبه عيون وعيون. راجع قلبك يا عامر، وستدرك من كلامي كل شيء.

عامر الأعور: هل تعرف يا بابلو. بأنني ضائع وتائه في هذه الأرض التي ما أوسعها وأغربها، والتي يدعوها الكل ـ بمن فيهم أنت وأنا وكل من حولنا ـ يدعونها باريس؟

بابلو: لست وحدك الضائع في أرضها..

عامر الأعور: لست وحدي؟! أهي أرض الضياع والموت إذاً؟

بابلو: لم أقل هذا، إنها الحياة، ولكن الحياة على مشارف الموت.

عامر الأعور: لم أفهم يا بابلو..

بابلو: باريس للمتخمين مراقص ومتاحف وخمارات وأضواء وسياحة. ولكنها ـ يا عامر ـ منفى للفقراء والغرباء منفى للعالمين واللاجئين والهاربين. لقد هاجرت إليها يوماً ولا شيء معي. لا شيء غير حفنة من تراب وطني. جئت وحدي من غير أرض ولا وطن، ولكن في صدري وقلبي كل قضايا الوطن.. خبأت رأسي في حقيبة، وهرّبته عبر الحدود. هرّبت نبضي وأنفاسي وكلمات الحق. هرّبتها خوفاً من رجل يدعى فرانكو. فهل سمعت به؟

عامر الأعور: ومن أين لي أن أسمع وقد جئت من أرض تقع على هامش الدنيا؟

بابلو: لقد عشنا في باريس ولكن أكفاننا ظلت هناك، هناك في أرضنا.. جئنا وقد خلفنا وراءها خشب الصليب وحبل المشنقة. ساعتها كانت لي عيوني وقوتي. فاشتغلت في مناجم الشمال. اشتغلت في ظروف قاسية حتى ضاع مني البصر.

**«يصمت قليلا».**

قد تسألني. وما نهاية هذا كله؟ ما النهاية؟ وهل هناك نهاية أبلغ من هذه التي ترى؟ أن أصبح عازفاً للذين لا يسمعون عزفي. وأن أقف حيث أنا، أشحذ خبزي اليومي، وخمري اليومي..

عامر الأعور: ربي! ما هكذا تصورت باريس ولا هكذا حدثوني عنها..

بابلو: أخبرني يا عامر. هل جئت باريس سائحاً؟

عامر الأعور: أبداً. من كان مثلي لا يعرف السياحة. لقد جئت في مهمة ـ ويا لها من مهمة ـ إنني أبحث عن امرئ القيس. فهل هناك يا سيدي من يرشدني إليه؟

بابلو: الناس هنا لا يقفون ـ مثلك ـ حتى أتعرف عليهم. هذا الكهف يا عامر لا يرحم. إنه يلتهم كل الوجوه، وكل الأرجل. فلا أحد هنا يتوقف أو يلتفت خلفه. حتى النقود يلقون بها وهم يمشون..

عامر الأعور: امرؤ القيس هذا. جاء باريس منذ سنوات. أرسله أبوه الأمير ليدرس..

بابلو: آه في هذه الحال يا عامر يا أخي يمكن أن تبْحث عنه في..

عامر الأعور: المعاهد؟

بابلو: لا..

عامر الأعور: في الكليات؟

بابلو: بل في الحانات يا عامر. ألم تقل لي بأنه أمير وابن أمير كذلك؟

عامر الأعور: بلى..

بابلو: وإذا كان كذلك. فما حاجته بالدراسة والشواهد؟ أبناء الأعيان لا يدرسون في باريس وان قالوا غير هذا فهم يكذبون ويزيفون على ذويهم..

عامر الأعور: حقاً ان امرأ القيس كان فاسقاً. ياتي الفاحشة نهاراً جهاراً، ولكنه بعد ذلك أتاب وأتاب..

بابلو: لا أصدق..

عامر الأعور: لقد أقلع عن الفسق نهائياً، وجاء باريس وفي نفسه شيء غير قليل من الشوق إلى العلم والفقه..

بابلو: يا عامر. دونك الحانات في باريس فابحث عنه..

عامر الأعور: ولكنه..

بابلو: قلت لك ابحث في الحانات ولا تضع وقتك، أنا أعرف منك بهذه الأرض..

عامر الأعور: ولكن امرأ القيس. أنا أعرف منك به. أليس كذلك؟

بابلو: امرؤ القيس الذي عرفته ستجده تبدل وتغير. فلا أحد في باريس يمكن أن يحتفظ بصبغته الأصلية. اذهب وابحث. إن وجدته فذاك، وإذا لم تجده يمكنك أن ترجع إلي.. فأنا باستمرار في هذا الكهف.. اذهب قلت لك..

عامر الأعور: سأعود إليك يا بابلو.. سأعود حتماً.. سأعود..

**«يبتعد وهو يجر حصانه.. يعود بابلو للعزف ـ ظلام»**



**١٣ بنو أسد قتلوا ربهم...**

**«امرؤ القيس في الخمارة محاطاً بنسوته. يدخل عامر الأعور وهوي جر حصانه خلفه.**

**ما يكاد امرؤ القيس يخرج من عاصفة من القهقهات حتى يجد نفسه وجهاً لوجه أمام عامر ينظر إليه في اندهاش».**

غينات: ماذا بك يا أمير. هل رأيت شيئاً مزعجاً؟

امرؤ القيس: رأيت هذا الرجل.. هذا..

غينات: آه. هذا الذي يجر وراءه بغلاً. إن منظره غير مفزع ولكنه مضحك..

**«يضحكن».**

عامر الأعور: هذا ليس بغلاً. وإنما هو حصان..

غينات: حصان؟!

عامر الأعور: نعم، واسمه غضبان وهو حصان أميري. هل فهمت؟

امرؤ القيس: عامر في باريس؟ هذا هو المحال بعينه. يمكن أن أصدق كل شيء إلا هذا.

**«يضحك وهو يتأمل عامراً الأعور في بدلته الافرنجية».**

الظاهر أن الله فتح عليك. فأصبحت تلبس القميص والسراويل والبيريه وتسافر إلى باريس.

**«يضحك».**

ألا قل لي يا عامر؟ كيف دخلت هذا البلد الأمين؟

عامر الأعور: كيف دخلت؟ كيف دخلت؟ دخلت كما يدخل كل الناس..

امرؤ القيس: لا أصدق. مطلقاً. لقد هرّبت نفسك عبر الحدود. أليس كذلك يا لعين؟ اعترف. أنت سلعة غير مرغوب فيها في هذا البلد.. إنني أتعجَّب يا عرائس الأنس كيف أنهم لم يضبطوه في الحدود ليردّوه من حيث أتى؟

**«يضحكن».**

عامر الأعور: لقد جئتُ يا امرأ القيس في أمر هام..

امرؤ القيس: هل سمعتن ما قال هذا الرجل يا بنات حاييم؟

راحيل: نعم. قال بأنه جاءك في أمر هام..

**«يضحكن».**

امرؤ القيس: أو يكون هذا الأمر ـ يا عامر يا غبي ـ أهمّ مّما أنا فيه الآن؟

عامر الأعور: نعم. وأخطر منه أيضاً..

امرؤ القيس: كذبت. فلا شيء أخطر من هذه اللحظة. نعم لا شيء.. تعال يا عامر واجلس إلى جواري. فكل مملكة أبي ـ بما فيها وما عليها وما حولها ـ لا تساوي بسمة هذه الحسناء.

**«مشيراً إلى سارة».**

اعفني يا عامر من ذكر أطلال سعدى وليلى وهند وسلمى. اعفني من سماع أخبار تلك الأرض الملتهبة. فمن هناك يا عامر لا يكن أن تهب علينا غير الرياح الملتهبة...

عامر الأعور: إنني أحمل أخباراً خطيرة ولا بد أن تسمعها....

امرؤ القيس:

**«غاضبا».**

ماذا؟! أتلزمني يا عامر يا أعور؟

عامر الأعور: حاشاي أن أفعل يا مولاي ولكنني أرجوك..

امرؤ القيس: سأسمعها. ولكن ليس اليوم..

عامر الأعور: ومتى؟

امرؤ القيس: غداً. اليوم خمر ولهو، وغداً قل ما لديك. إنني أعرف أن أخبارك لا يمكن أن تخرج عن صفتين: أن تكون مفرحة أو مؤلمة..

عامر الأعور: ولكن، ألا تسمعها أولاً..

امرؤ القيس: فإن كانت مؤلمة أفسدت عليّ ليلتي هذه..

عامر الأعور: وإن كانت مفرحة يا مولاي؟

امرؤ القيس: مفرحة؟! ولو أن هذا الأمر مستبعد، ومستبعد جداً جداً، فإنني مع ذلك أقول بأنه ـ مهما كانت ـ فإنها أبداً لن تكون أهمّ مما أنا فيه اللحظة. لقد تعودت ألا أستبدل ما في يدي بما في الغيب. هذه حكمتي في الحياة. تعال يا عامر. تعالَ يا عديم الحس والقلب! يا ميتاً يمشي وينطق و.. يكذب أيضاً. تعالَ وقل لي. هل رأت عيناك ـ قبل الآن ـ مثل هذا الحسن؟ انطق..

عامر الأعور: هل يأمرني مولاي بالكذب؟

امرؤ القيس: بل آمرك بالصدق..

عامر الأعور: آه بالصدق؟! في هذه الحال يا مولاي يمكن لعامر ـ عديم الحسن والقلب ـ أن يقول بأنك مخطئ جداً جداً..

امرؤ القيس: أنا مخطئ؟!

عامر الأعور: نعم يا مولاي، فليس أمامك لا حسن لا وسامة ولا جمال. وما هؤلاء النسوة غير عجائز ميتات ـ مع وقف التنفيذ ـ عجائز محنّطات من عهد آمون ورمسيس وخوفو ورع ومنقرع وبونيفاس ة.. الجيلالي بوعلام.

امرؤ القيس: إنه يمزح كعادته.

**«يضحك»**

هل تعرفن يا بنات حاييم ماذا قال هذا الحقير؟

سارة: نعم. ماذا قال؟

امرؤ القيس: قال بأنكن ميتات..

غينات: لقد صدق. ورب موسى لقد صدق.. نحن ميتات من العشق والهوى..

سارة: والهوى العذري طبعاً. أكدي جيداً على العذري يا أختي غينات..

امرؤ القيس: قل لي يا عامر. ما رأيك في هذه؟

**«مشيراً إلى غينات»**

عامر الأعور: هذه؟ شمطاء شاب وليدها، وربما مات أيضاً، ولا أحد يدري بذلك..

امرؤ القيس: وهذه. ما قولك فيها؟

عامر الأعور: هذه يا مولاي جدتي..

امرؤ القيس: جدتك؟!

عامر الأعور: نعم، لكن في ترجمة افرنجية. إنها نسخة مزيدة ومنقحة ـ ليس بما أتاها الله ـ ولكن بما أعطاها العطار من الأصباغ والألوان والغبار الأبيض..

امرؤ القيس:

**«يضحك»**

حقاً أنت شيطان يا عامر قل لي أيضاً. وإذا سألتك عن هذه ماذا تقول عنها؟

عامر الأعور: أقول أنها «حيزبون» في عمر الورد الأشقر..

غينات: إنها صغرى بنات حاييم..

امرؤ القيس: حقاً إنها في عمر الورد

عامر الأعور: نعم. ولكنه الورد الاصطناعي يا امرأ القيس..

امرؤ القيس: تعال يا عامر. تعال ودعك من المزاح والثرثرة فاليوم خمر وعربدة وغداً أمر..

عامر الأعور: أنا ما جئت هنا إلا من أجل شيء واحد فقط. وهو أن أسمعك حديثي، ثم أعود من حيث أتيت.

امرؤ القيس: بماذا يمكن أن تحدثني يا عامر سوى عن الصحراء والضباء وحروب الثأر والنار؟

أنت الآن في أرض أخرى مغايرة. فحاول أن تفهم هذا. عش لحظتك الآن وانس ما كان! أنت في باريس ولست هناك. باريس عرس دائم يا عامر، فانظر حولك. تأمل أضواءها وناسها ودروبها. هنا يمارس الناس العشق جهراً يا عامر. فلا شيء محرم أو ممنوع.. كل شيء مباح. أما هناك فكل مرغوب محرم. العشق حرام. الهمس حرام. الحرف حرام. التنفس حرام. كل شيء حرام. حرام حرام حرام.. شرع القبيلة من جهة.

وشرع أبي من جهة أخرى خنقا في الناس لذة الحياة وفرحة العيش..

عامر الأعور: يا امرأ القيس. اعطني فرصة للحديث..

امرؤ القيس: هنا كل شيء يختلف يا عامر..

عامر الأعور: أعرف هذا..

امرؤ القيس: في الطاحونة الحمراء أطحن همي وعذابي. في بيكال انفجر قنبلة زمنية موقوتة. في كهوف الميترو آخذ الفحم واكتب. أترجم همي حرفاً يعانق حرفاً. ألعن الظلم والقهر جهراً، وأدين أقفاص الحمام. الناس هنا يتقنون صناعة الحلم والعشق. إنهم يحلمون وهم يمشون. يحلمون على الأرصفة وفي الحانات وتحت قناطر السين. كل الدنيا مختصرة في هذه الأرض. كل الأزمنة في هذا الآن. ألا ما أعظمك من مدينة! باريس غابة من العيون الزرق والخضر. غابة من السيقان والشفاة الحمر المُملئة ـ حتى التخمة ـ بالابتسام والتقبيل. هل تذكر يا عامر. ماذا قال أبي يوم ودعني؟

عامر الأعور: نعم. قال ارحل على بركة الله. اذهب إلى باريس يا ولدي. فهناك الجامعات والمعاهد. اذهب. رافقتك السلامة ـ ولتعد لنا بالشهادات..

امرؤ القيس: وطفت كل أرجاء باريس.. رأيت الحدائق والكنائس والمتاحف وأرصفة المومسات. رأيت الأسواق والحانات وبيوت الدعارة. رأيت كل شيء يا عامر في هذا البلد. إلا الجامعات والمعاهد. كذبوا عليك يا أبي. فما في باريس غير أسواق اللذة. وقد اغترفت من بضاعتها ـ والحمد لله ـ الشيء الكثير الكثير.. هذه هي شهادتي وعلومي. ومن كان يملك أحسن منها فليتقدم.

**«للنسوة».**

هل تعلمن يا بنات حاييم بأنه لا علم أكبر وأخطر من علمكن. لهذا فإنني ـ اعترافاً بالجميل ـ فقد قررت شيئاً..

غينات: وما هو هذا الشيء يا مميكا الغني جداً جداً؟

امرؤ القيس: قررت أن أمد أنبوباً من البترول..

سارة: جميل جداً.

**«تصفيق في فرح صبياني».**

امرؤ القيس: يربط بين الصحراء وباريس..

راحيل: ويصل لحدّ بيتنا. أليس كذلك؟

امرؤ القيس: يصل لحدّ بيتكم وأكثر..

غينات: عاش امرؤ القيس..

جميعهن:

**«بصوت واحد».**

عاش عاش عاش

عامر الأعور: أنت تهذي يا امرأ القيس..

امرؤ القيس: وسأبني لكن «بنكا» أيضاً..

**«يصفقن في حماس ويقبلنه في كل وجهه».**

عامر الأعور: ومن أين، وقد تغيرت الدنيا؟

امرؤ القيس: ماذا أسمع؟! لا شك أن وراءك أشياء غامضة..

عامر الأعور: نعم. هل تريد أن أخبرك بها؟

امرؤ القيس: لا.. ليس الآن. اليوم خمر فقط..

عامر الأعور: إذا ما دمت لا تريد فإنني لن أحدثك أنت. وسأكتفي بأن أدردش مع العوانس. هل تعلمن يا بنات حاييم.. المحترم؟

امرؤ القيس: إني آمرك أن تسكت..

عامر الأعور: أنا لا أخاطبك أنت يا امرأ القيس

**«يتابع حديثه مع العجائز».**

هل تعلمن بأن أباه الأمير وقد كانت له آبار للبترول..

امرؤ القيس: كانت؟!

عامر الأعور: وضرائب تأتيه من كل القبائل..

امرؤ القيس: ألا تريد أن تسكت يا عامر؟

عامر الأعور: أبوه الملك هذا ثار عليه العسكر..

امرؤ القيس: إنك تكذب..

عامر الأعور: حملوا أسلحتهم.. أسرجوا خيلهم وجاءوه في جمع رهيب..

امرؤ القيس: لا يمكن أن أصدق ما تقوله..

عامر الأعور: دخلوا قصره فجراً..

امرؤ القيس: دخلوا قصره.. وماذا فعلوا بعد ذلك؟ تكلم، انطق يا عامر..

عامر الأعور: لقد أمرتني بألا أقول اليوم شيئاً ولن أقول..

امرؤ القيس: بل يجب أن تقول كل شيء..

عامر الأعور: إنني أكره أن أعصي لك أمراً يا مولاي..

امرؤ القيس: قل ماذا فعلوا بأبي. قل يا عامر وأرحني!

**«يمسكه من ثيابه وهو في حالة هياج عصبي».**

ماذا فعلوا به؟

عامر الأعور: لقد.. قتلوه..

**«تصرخ النسوة ثم ينطلق هاربات».**

امرؤ القيس: ماذا أسمع يا ربي؟

عامر الأعور: قتلوه يا امرأ القيس. قتلوا أباك الملك..

امرؤ القيس: يا الله يا الله! كل الاحتمالات مرت ببالي إلا هذه..

عامر الأعور: لقد استولوا على الاذاعة، وأذاعوا منها البلاغ الأول. ثم راحوا يطاردون أفراد أسرته. لقد نصبوا المشانق في الساحات. وقتلوا كل من ينتمي لكم بسبب. لقد قُتِل الكل يا امرأ القيس وبقيت وحدك. ضاعت منك السلطة وضاع منك المال. فقدت الأب والأهل. فقدت كل شيء..

**«تخور قواه فيسقط إلى الأرض. يبقى داخل بقعة ضوء ضيقة. يحدق نحو الآفاق البعيدة بعينين زائغتين ـ ينشد بصوت ممزق».**

أرِقْتُ لِبرقٍ بليلٍ أهل
يضيءُ سناه بأعلى الجبل
أتاني حديثٌ فكذَّبْتُهُ
بأمرٍ تزعزعَ منهُ القُلَلْ
بنو أسدٍ قتلوا ربَّهم
ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ
فأين ربيعةُ عن ربِّها
وأين تميمُ وأين الخُوَلْ
ألا يحضُرون إلى بابِهِ
كما يحضرون إذا ما استَهَلّ
بنو أسد قتلوا ربَّهُمْ
الا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ

**«تختفي الانارة شيئاً فشيئاً. في الوقت الذي يبقى امرؤ القيس يردد البيت الأخير في ايقاع تنازلي ـ ظلام تام».**